# صيد الطيور المتوسطة والصغيرة والجراد

## البط

من الطيور الكبيرة الخواضة، أرجلها قصيرة ثقيلة ولكنها متناسبة مع الجسم، والرقبة طويلة معقوفة. وهي من الطيور المائية التي تعيش بقرب الأنهار والبحيرات. ومنها أنواع داجنة معروفة منذ القدم. وهناك أنواع من البط تأتي إلى المملكة العربية السعودية خلال رحلة هجرتها في فصل الشتاء متجهة إلى المناطق الدافئة. والبط أنواع

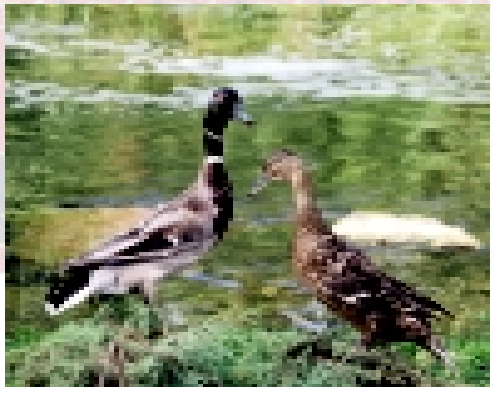

نوعان من البط

ذُكر منها في كتاب مرشد الصياد الخضيري (البركة) والبلبول والحذف والشهرمان والصواي (الوليعي ونادر ١٩٩٠ : ٧٢-٨٢).

والخضيري (البركة ويقال بُركة بضم الباء، والجمع بُرك وبركان وأبراك) بطة برية تسمى في مصر بط خُضارى وفي الشام شريف خضري. وهو طائر كبير الحجم، يبلغ طوله ٥٨سم ويختلف لون الذكر عن الأنثى. يتميز الذكر بلون أخضر لامع على الرأس والرقبة والحلق، ولون الظهر بني داكن، أما الجناحان والبطن فلونهما رمادي شاحب، والأقدام بنية. والأنثى أصغر حجماً من الذكر، وهي ذات لون بني مبرقش ينتشر على جميع جسمها، وأقدامها برتقالية اللون.

وبيئة هذا الطائر هي البحيرات والسواحل والمستنقعات، ويتغذى على

البركة أو الخضيري

النباتات والبذور المختلفة وصغار الأسماك. وهو طائر مستوطن يعيش على الأرض بين الأعشاب الطويلة. ومناطق وجوده في المملكة هي مستنقعات المنطقة الوسطى والجنوبية الغربية.

والشهرمان نوع من البط يبلغ طوله ٦١سم. ولون الرأس والرقبة أخضر داكن، يحيط بمقدم الظهر والصدر طوق بني باهت، والكتف أسود، والمنقار ذو لون أحمر، ولون الظهر والبطن أبيض. بيئته البحيرات المائية والمستنقعات والسواحل الرملية. وهو طائر مهاجر وزائر في فصل الشتاء ويوجد في المملكة العربية السعودية في فصل الشتاء في مستنقعات المنطقة الوسطى والمنطقة الجنوبية الغربية.

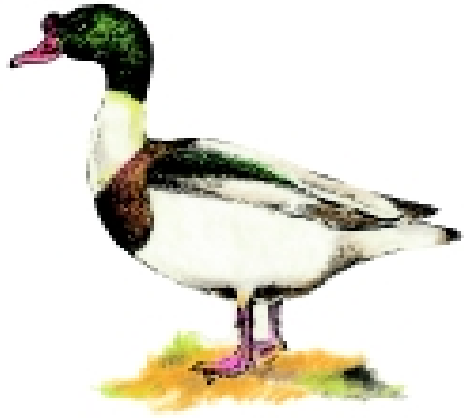

الشهرمان

وأصغر منه الصواي الذي يبلغ طوله ٤٦سم. ويختلف الذكر عن الأنثى في الشكل، فللذكر منقار قصير، ورأس بني، وباقي جسمه رمادي، وعلى الأجنحة خط أبيض. أما الأنثى فهي أصغر حجماً، قصيرة المنقار مذببة الذيل، بيضاء البطن، ولون الظهر والأجنحة فيها بني مشوب بخضرة. وطائر الصواي طائر مهاجر، يوجد في المملكة خاصة في فصل الشتاء على السواحل، وفي

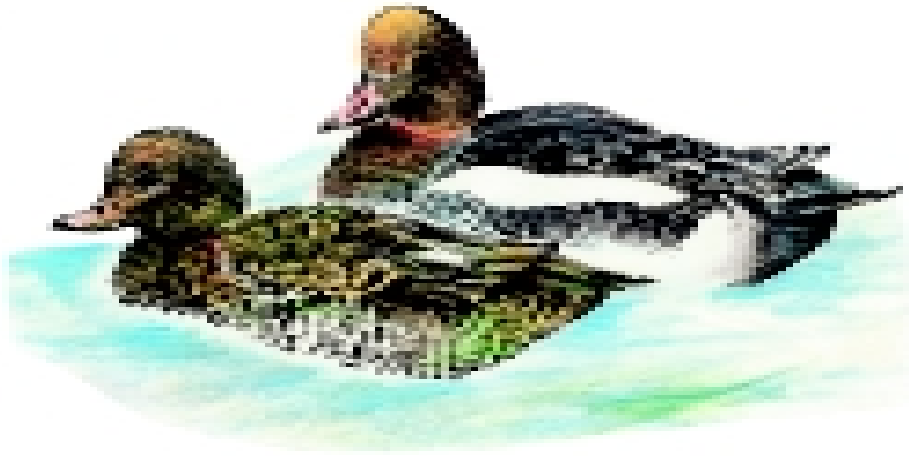

الصواي

مستنقعات المنطقة الجنوبية الغربية والمنطقة الوسطى.

والبلبول يتراوح طوله بين ٥٦ و٦٦سم ويختلف الذكر عن الأنثى في الشكل، إذ يتميز الذكر بأن رقبته طويلة ولون رأسه وظهره وظاهر حلقه بني داكن، وذنبه بني اللون تخرج منه ريشتان طويلتان، ولون بطنه وصدره أبيض، وعلى الجناح شريط أخضر لامع. أما الأنثى فهي بشكل عام بنية اللون ذات بقع داكنة وعلى الجناح شريط بني داكن. ويشاهد في المملكة العربية السعودية في فصل الشتاء في مستنقعات وشواطئ سهل تهامة ومستنقعات المرتفعات الجبلية ومستنقعات بحيرات المنطقة الوسطى.

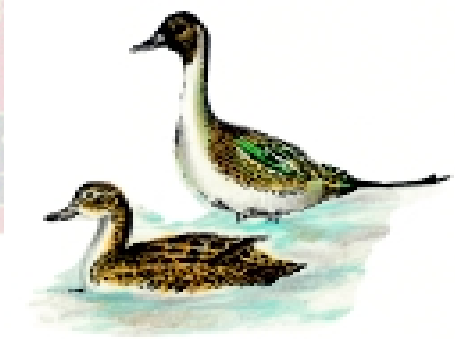

البلبول

والحذف أصغر أنواع البط لا يتعدى طوله ٣٥سم. ويختلف الذكر عن الأنثى في الشكل. فللذكر رأس بني، عليه بقعة خضراء لامعة، تمتد حول العين متجهة إلى الخلف، والظهر بني، عليه خطوط عرضية بيض اللون، ولون الذنب والعجز بني، وعلى الجناح شريط أبيض، والصدر والبطن أبيضان، والمنقار لونه

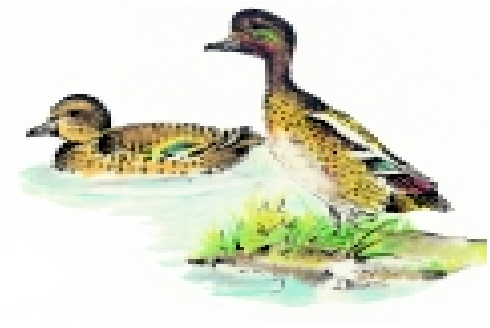

الحذف

الغرنوق من الطيور الوافدة إلى الجزيرة العربية

رصاصي. أما الأنثى فهي بصورة عامة بنية اللون، بطنها ملون بلون بني شاحب ومنقارها بني اللون، أما أقدامها فهي ذات لون رمادي مشوب بخضرة. يوجد في المملكة العربية السعودية في فصل الشتاء على السواحل الغربية وفي المنطقة الوسطى.

## الغرنوق

من أسمائه: الكركي والرهو وأبو سعد. من الطيور الوافدة التي تمر بأجواء المملكة في رحلة هجرتها خلال فصل الخريف والربيع، أي في رحلتي الذهاب والعودة. وهي تهبط أثناء مرورها للاستراحة والتزود بالغذاء، حيث تتوقف لزمن يطول أو يقصر، غير أنها لا تلبث أن تغادر المكان لتستكمل رحلتها. ويصطاد منها الناس أعداداً كبيرة خلال فترة بقائها في المملكة للراحة. وموطنها أواسط آسيا وتركيا، وتهاجر متجهة إلى المناطق الجنوبية الدافئة شتاء. ويمر أحد خطوط هجرتها في وسط الجزيرة العربية، حيث تقطعها متجهة إلى المنطقة الغربية، ثم تعبر البحر الأحمر في طريقها إلى أفريقيا. وقد سجلت عدة مئات منها في منطقة حائل شمال المملكة خلال موسم الهجرة.

والغرنوق طائر مائي كبير الحجم أغبر اللون طويل العنق والرجلين. وهو على أنواع منها الكركي المألوف، ويعرف بالكركي في العراق، وبالرهو في الشام، ومنها الكركي المتوج، ويسمى الغرنوق في السودان، والكركي في المغرب، ومنها الكركي السنجابي كما يسمى في مصر، كما يسمى الرهو (المعلوف ١٩٣٢: ٧٥). وكلها أنواع تنتمي إلى فصيلة الغرانيق أو الكراكي.

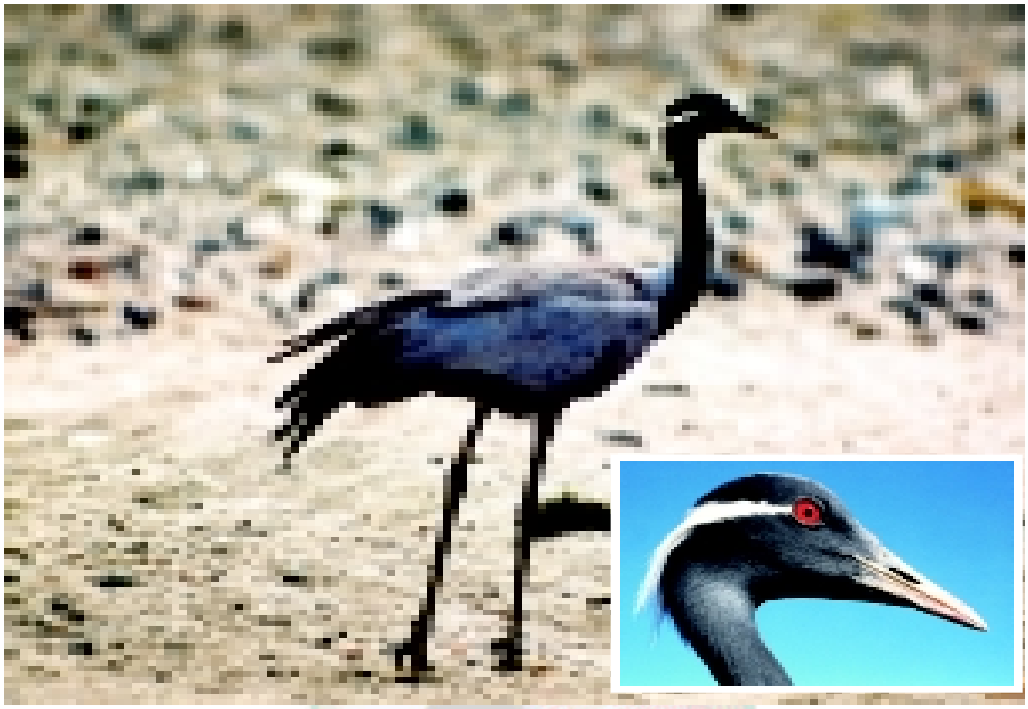

الغرنوق يسمى الكركي، ويسمى الرّهو، ويعرف بحمرة الحدق

والغرنـوق قد يكون أبيض نـاصع اللون ذا منقار أصفر ورجلين صفراوين، وقد يكون أغـبر اللون طويل الـساقين طويل المنقـار في حجم الأوزة. «وهو أيضاً ضرب مـن طير الماء لونه أسود» (الصـالحي ١٩٨١: ١٣٤). وجاء فـي كتاب الدميري حياة الحيوان الكبرى أن الكركي طـائر كبير معـروف، والجمع كراكي، وكنيته أبو عريان، وأبو عينا، وأبو العيزار، وأبو نعيم، وأبو الهيص. وذهب بعض الناس إلى أنه الغرنوق. وهو أغبر طويل الساقين، والأنثى منه لا تقعد للذكر عند السفاد بل يـسفدها وهي قائمة وسفاده سريع كالعصفور. وهو مـن الحيوان الذي لا يـصلح إلا برئيس لأن في طبيعته الحذر والتحارس بالنوبة. والذي يحـرس يهتف بصوت خفي كأنه ينذر بأنه حارس، فإذا قضى نوبته قام الذي كان نائماً يحرس مكانه حتى يقضي كل ما يلزمه من الحراسة. وله مشات ومصـايف، ومنها ما يلزم موضعاً واحداً، ومنها ما يسافر بعيداً. وفي طبعه التناصر ولا تطير الجماعة منه متفرقة، بل صفـاً واحداً يقدمها واحد

الغرنوق قد يكون ناصع البياض

كالرئيس لها، وهي تتبعه، يكون ذلك حيناً، ثم يخلفه آخر منها مقدماً، حتى يصير الذي كان مقدماً مؤخراً. وفي طبعه أن أبويه إذا كبرا عالهما. ويفهم من كلام الدميري أن بعض أنواع الكراكي أو الغرانيق مهاجر شتاء، والبعض منها مقيم لا يهاجر، بل يقضي الشتاء في موطن تكاثره الأصلي.

وفرَّق السويداء بين الغرنوق والرهو، فقال: إن الغرنوق طائر أبيض اللون له رجلان طويلتان، ومنقار طويل أصفر طوله حوالي ٥سم، ورقبة طويلة، وهو ناصع البياض، وحجمه بحجم الدجاجة. وهو من الطيور الوافدة التي تأتي في رحلتها في بداية الخريف والربيع. ويتغذى على الحشرات حول المستنقعات، وكثيراً ما يحب مجموعات المواشي ليتغذى على ما يصاحبها من الحشرات الطائرة وبالذات البقر والحمير، ولذلك يقال في المثل «غرنوق بقر» أو «غرنوق حمير». ويأتي في مجموعات مثل الرهو، لكنه يختلف عن الرهو في حالة الطيران. فالرهو يأتي على هيئة صف يسمى «حبل الرهو» يتقدمه واحد من هذا الصف. أما الغرانيق فتأتي مثل فرق الحمام. ويصطاد الصيادون منها أعداداً كبيرة عند مرورها

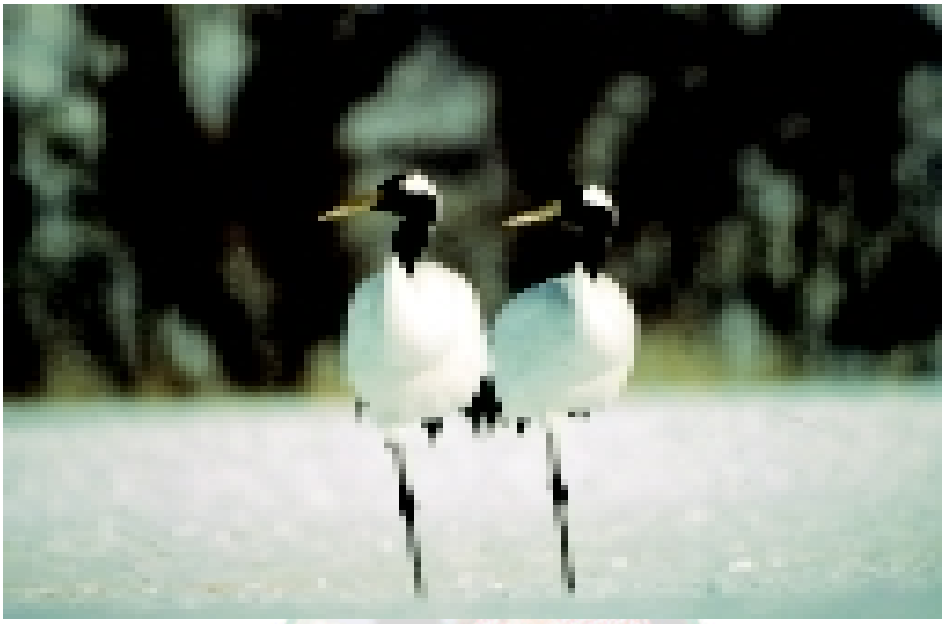

يشبه الشعراء الغرانيق الواقفة بدلال القهوة البيضاء

بأجواء المملكة كل عام. ويشبه الشعراء الشعبيون ببياضه وحسن وقوفه دلالَ القهوة البيض، كما يشبهون به بياض النساء.

ويبدو أن ما يشير إليه السويداء بالغرنوق المعروف في الجزيرة العربية إنما هو طائر «البلشون الأبيض» أو «مالك الحزين» أو «المالكي» أو «أبو قردان»، كما يسمونه في مصر، إذ هو الذي في حجم الدجاجة، وهو من آكلات الحشرات، ولا يألف المواطن المائية. أما الكركي والغرنوق والرهو فهي طيور مائية تأكل الأسماك والأحياء البحرية الصغيرة، وهي في حجم الأوزة الكبيرة.

ولكثرة ملازمة الكراكي للماء والتصاقها به أطلق عليها الشعراء اسم «بنات الماء»، وشبهوا أباريقهم بها لطول أعناقها والتوائها ولاستطالة قامتها قال أبو نواس:

لدينا أباريق كأن رقابها
رقاب كراكي نظرن إلى صقر

وقال أيضاً:

في أباريق سُجَّد كبنات الماء
أقعين من حذار الصقور

أما مسلم بن الوليد فقال:

أكواسهم ملاءٌ
طافية ركودُ
قد قلدت بآس
فزانها التقليدُ

مـــثـــل بـــنـــات مـــاءٍ يـرفلـن فـي قـمص وفـي يـلامـقِ
أفـــزعـــهـــا الـــرعـــودُ كـــأنـــهـــن زهَـــرُ الحـــدائـــقِ
فـــمـــرة ركـــوعٌ حـمـر الحـداق كُـحَـل الحـمـالـقِ
ومـــرة ســـجـــودُ كـأنمـا يـجـلـن فـي مـخـانـقِ

وذكر القزويني أن الكركي لا يمشي على الأرض إلا بإحدى رجليه ويعلق الأخرى، وإنْ وَضَعَها وضعها وضعاً خفيفاً مخافة أن تخسف به الأرض، وهو ما قاله الجاحظ الذي أضاف بأنه إذا مشى على وجه الأرض يمشي رويداً خائفاً.

والكركي من أبعد الطير صوتاً يسمع على أميال. وإذا تقدم مجيئها في الفصل استدل بذلك على قوة الشتاء. ويقال إنها تأتي من بلاد الترك، ويتغالى الملوك في طلبه وصيده تغالياً لا يدرك حده وتنفق في ذلك الأموال الجمة التي لا نهاية لها، وأكله حلال بلا نزاع (الباشا ١٩٨٣: ٢٢٦). وقال الناشئ في وصف الكركي:

ومورد يجذل قلب الوامق
منظم بالغر والغرانقِ
وكل طير صافر أو ناعق
مكتهل وبالغ ولاحقِ
موشية الصدور والعواتق
بكل وشي فاخر وفائق
تختال في أجنحة خوافقِ
كأنما تختال في قراطق

والقراطق: جمع قُرطق: قباء وهو نوع من اللباس ذو طاق واحد، والمخانق: القلائد. وقال صفي الدين الحلي يصف الكراكي عند قدومها من البطائح، ورحيلها إلى الجبال:

أهلاً بها قوادماً رواحلا
تطوي الفلا وتقطع المراحلا
تذكرت آكام دربنداتها
وعافت الأجام والمراحلا
أذكرها عرف الربيع إلفها
فأقبلت لشوقها حوامِلا
تغرق في الجو بصوت مطرب
يشوق من كان إليها مائلا
هدية الصنف ودربندية
أو خزريات بدت أصائلا

والمراحل (جمع مرحلة): المسافة، ودرندبات جمع دربند، فارسية) معناها: المضيق بين جبلين. وقال كشاجم مخاطباً ولده:

اتخذ في خلة في الكراكي
اتخذ فيك خلة الوطواط
أنا إن لم تبرني في عناء
فببري ترجو جواز الصراط

وقال القزويني في خواص الكركي إن عينه تسحق ويكتحل بها الإنسان لا ينام، ومرارته تنفع اكتحالاً من نزول الماء، وإن لحمه مع شحمه يطبخان جميعاً ويقطر حرقهما في أذن من به طرش ينفعه، ومخه يذاب بخل العنصل، ويسقى به من به وجع الطحال في الحمام ينفعه، وقانصته تجفف وتسحق ويسقى درهمان منها لمن به وجع الكليتين والمثانة بماء الحمض ينفعه. ومن خواص الكركي أيضاً ما جاء في كتاب حياة الحيوان الكبرى أن لحمه بارد يابس لا دسم له، أجوده صيد البازي، ينفع أصحاب الكبد. لكنه سيئ الهضم، ويدفع ضرره إنضاجه بالأبازير الحارة. وهو يولد دماً غليظاً، ويوافق أصحاب الأمزجة الحارة، لا سيما الشباب. وأجود أكله في الشتاء، ويختار أن يتحلى بعده بالحلوى العسلية، فإنها مما يسهل خروجه. ويجب ألا يؤكل إلا بعد يوم أو يومين، وتشد في أرجلها الحجارة، وتعلق ليرخص لحمها، وتنضج في طبخها، ويُسْتمرأ عند ذلك أكلها، وكذلك يفعل فيما لحمه كذلك. غليظ عسر الاستمراء، لا سيما إناثها. ومرارته تنفع من القرع؛ وإذا خلطت مع دماغه بزئبق وسعط بها الذي ينسى فإنه يذكر ما ينساه. ومن أحب ألا ينبت في بدنه شيء من الشعر فليأخذ جزءاً من الذراريح، ومثله مخ الكركي، ويدقها جميعاً ويطلى بها أي موضع يختاره من بدنه، فإنه لا يطلع فيه شعر.

وفي ديوان أبي نواس ثلاث طرديات يصف فيها طرده للكراكي ببزاة معلمة مدربة، تخرج البزاة من المعركة مكللة بالنصر والفوز بعد أن تقطع الكراكي قطعاً متناثرة، وبعد أن تستل من صدورها سحورها، وتمزق أكبادها، وتلقي من جوفها مصارينها وتخضب بدمها الطين. قال:

نرسل منه عند إطلاقه
على الكراكي درخمينا
داهية تخبط أعجازها
خبطاً يحسيها الأمرينا
يحمى عليها الجو من فوقها
حيناً ويغريها الأحايينا
وهن يرقصن صراخاً كما
جهور في الشعب الملبونا
فمقعص أثبت في سحره
وخاضب من دمه الطينا
قد مشقته في الحشا مشقة
ألقت من الجوف المصارينا

رحنا به نحمل أكبادها
في زورة عشراً وعشرينا

وقال كشاجم في صيد الكركي:

يارب أسراب من الكراكي
مطعمة السكون في الحراك
بعيدة المنال والإدراك
كدر وبيض اللون كالأفناك
تقصر عنها أسهم الأتراك
ذعرن قبل لغط المكاكي
وقبل تغريد الحمام الباكي
بفاتك يُربي على الفتاك

الأفناك (جمع فنك): ثعلب له فرو من أحسن أنواع الفراء، المكاكي (جمع المكاء): طائر من القنابر، الفاتك: الشاهين الذى أطلقه على الكركي.

ونجدهم في الأدب الشعبي شبهوا بياض المرأة ببياض الغرنوق كما شبهوا الركايب بها. قال عبدالله بن هويشل الدوسري:

أجمل من العفري وشقح الغرانيق
ومعصفرات شييخي كنه إياه

شقح الغرانيق: الغرانيق البيضاء والساطعة، معصفرات شييخي: يقصد الصعو ويخص الصفراء التي تسمى الشويخة أو الشييخة. وقال عبيد بن على الرشيد:

بيضٍ لكن ارقابهن الغرانيق
بديار قومٍ يتعبون الصياني

يتعبون الصياني: يصفهم بالكرم حيث يتعبون الصياني من كثرة ما يقدم فيها للضيوف والزوار والوافدين.

وقال شاعر:

ياراكب اللى تقل غرنوق
لى روحت والمسا داني

تقل (أصلها تقول): كأنها، واستخدام هذا الفعل أداة للتشبيه ورد في شعر امرئ القيس والأعشى.

## الكروان

الكروان (جمعه كِرْوان) أحد أنواع الطيور المعروفة منذ القدم، وهو مما يصاد ويؤكل. أكبر من طائر القطا الجون، غير أن الكروان أطول سيقاناً وعنقاً وأكثر رشاقة في الجسم. وهو طائر طروب. جريه على الأرض أسرع من القطا والحجل، ولا يسبقه في الجري إلا طائر السمق. يشبه الكروان حتى إن بادية المنطقة الشمالية يطلقون على الكروان اسم السمق. ويغلب على الكروان اللون الأشقر الضارب إلى الحمرة، فيكون من لون الأرض التي يعيش عليها في الصحارى والسهول والرياض والفياض. حجمه بين الدجاجة والحمامة، أدبس، طويل الساقين والعنق، جاحظ العينين، أصغرهما،

الكروان

قصير الزمكَّى، له في الليل صوت حسن. زعم العرب أنه ابن أخت الحبارى وهي خالته. وأهل مصر يسمونه أحياناً الكروان الجبلي تمييزاً له عن طائر آخر يسمونه كروان الغيط (المعلوف ١٩٣٢ : ٢٣٦).

جاء في كتاب الدميري حياة الحيوان الكبرى أن الكروان طائر يشبه البط (والحقيقة أنه لا يشبهه)، لا ينام الليل، سُمِّي بضده من الكرى، والأنثى كروانة والجمع كِرْوان بكسر الكاف. ومن خواص لحمه وشحمه، كما قال القزويني، أنهما يحركان الباءة تحريكاً عجيباً. ولعل هذا هو أحد الأسباب الهامة لتفضيل الصقارين العرب صيد هذا الطائر بعد الحبارى.

«ويبلغ طول الكروان ٤١سم. ويتميز بمنقار مستقيم. طرفه الحر أسود، وقاعدته صفراء اللون، ورأسه كبير مستدير، والعين صفراء، والجزء العلوي بني، والبطن بيضاء. أما الأرجل فهي صفر، ويوجد على الجناح شريط أبيض. ويطلق الكروان صوت (كوووليي... كوووليي). ويألف الطائر المناطق شبه الصحراوية والمناطق الصخرية والأراضي الزراعية. ويتغذى على بذور النباتات والحشرات الأرضية وبعض أوراق النباتات، وهو طائر مهاجر وزائر

في فصل الشتاء. حيث يرى في المملكة العربية السعودية في المناطق الشمالية والوسطى والشرقية وساحل تهامة وبعضها يقيم في الساحل الجنوبي» (الوليعي ونادر ١٩٨٩ : ٦٤).

ومما ورد في كتاب الصقور والصيد عند العرب أن الكروان من طيور الصيد التي لا تزال شائعة الوجود في مناطق من آسيا وأوروبا وأفريقيا. وتعيش طيور الكروان بشكل خاص حول منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، وتنتشر إلى الجهات الشرقية من شمال آسيا في دول الاتحاد السوفيتي السابق، ومنطقة الشرق الأوسط في تركيا وسوريا والعراق وإيران، وفي باكستان والهند، وفي الجهات الغربية من أوروبا، ويصل إلى بريطانيا، وقد أخذت أعداده تتضاءل في غرب أوروبا. ويوجد هذا الطائر أيضاً في مصر وفي الأجزاء الساحلية من شمال أفريقيا. يهاجر في أغلب الحالات من المناطق الشمالية التي يعيش فيها إلى المناطق الجنوبية الدافئة، وقد يستقر في بعض هذه المناطق ويقيم فيها إذا ما توافرت له الظروف الملائمة. فالمجموعات التي تعيش في دول الإتحاد السوفيتي السابق وشمال آسيا تهاجر جنوباً إلى شمال غرب الهند وباكستان وإيران والعراق والجزيرة العربية. ومنه أجناس وسلالات عدة حسب مناطق انتشاره الواسعة.

ويقع موسم تكاثر الكروان بين شهري فبراير وشهر يونيو، حيث تضع الأنثى من بيضة إلى ثلاث بيضات في حفرة معتدلة العمق، قد تضع فيها بعض الحشائش. ويكون لون البيض فاتحاً، وعليه بقع متناثرة تكوّن خطوطاً داكنة اللون. وتدوم فترة حضانة البيض حوالي ستة وعشرين يوماً يقوم الذكر والأنثى خلالها بحضانة البيض ورعاية الصغار لفترة تتراوح من ستة وعشرين إلى اثنين وأربعين يوماً. وعمر النضوج الجنسي الذي يبلغه طائر الكروان قبل أن يستطيع التكاثر ثلاث سنوات.

ويحتل طائر الكروان المرتبة الثانية بعد طائر الحبارى في قائمة الطيور التي يسعى الصقارون العرب لاصطيادها في وقتنا الحاضر، علماً أن الرغبة في قنص طيور الكروان ليست لدى جميع الصقارين العرب، ولكنها غالباً ما تكون لدى الأجيال الشابة من الصقارين، ممن تتوافر لهم الفرصة المناسبة والوقت اللازم للقيام برحلات قصيرة المدى، وتكون غالباً مباشرة بعد انتهاء موسم قنص طيور الحبارى. ويستخدم في العادة الشاهين

الكروان يزور الجزيرة العربية في فصل الشتاء

والوكرى لاصطياد طيور الكروان، وذلك أن الشاهين يتأخر تبديل ريشه فيمتد موسم صيده أطول من الصقر (التميمي ١٩٩٢: ١٤٧-١٤٨).

وقد ورد ذكر الكروان كثيراً في الشعر العربي القديم، قال طرفة بن العبد في أبياته التي كانت سبب قتله:

لنا يوم وللكروان يوم
تطير اليابسات ولا نطير
فأما يومهن فيوم سوء
تطاردهن بالحرب الصقور
وأما يومنا فنظل ركباً
وقوفاً ما نحل ولا نسير

وقالوا في الأمثال «أجبن من كروان» لأنه إذا قيل «أطرق كرا إن النعام في القرى» التصق بالأرض فيلقى عليه ثوب فيصاد، وهذا المثل يضرب للمعجب بنفسه. قال الشاعر ذو الرمة:

أمير أبي موسى يرى الناس حوله
كأنهم الكِرْوان أبصرن بازيا

وقالوا فيه أيضاً:

شهدت بأن الخبز باللحم أطيب
وأن الحبارى خالة الكروان

يضرب عند الشيء يتمنى ولا يقدر عليه.

وفي الشعر الشعبي شبه الرجال بالكروان. يقول إبراهيم بن عبدالرحمن السيف:

فيه الكروان استوى له مخاليب
يشهر على طير الهداد ويدوسه

## الحجل

طائر بري معروف، أغبر أو ترابي اللون، يميل لون ظهره إلى الخضرة، أحمر أو أصفر الرجلين والمنقار. يكثر في سفوح الجبال والأودية والفياض ويعيش على الحبوب وبذور النبات وأوراقها، ويقتنصه الصيادون بوسائل مختلفة. واحدته حجلة ويسمونه الدُرَّج. ومن أسمائه قَبَج (فارسية معربة) الواحدة قبجَة. ويسمى فرخ الحجل سُلَكاً وأنثاه سُلكانة وسُلكة، وفي لبنان يقولون سركَّة بقلب اللام راء. ويطلق السلك أيضاً على فرخ القطا. والحجل أجناس وأنواع كثيرة. ويوجد منه في المملكة ثلاثة أنواع هي الحجل العربي أحمر الساق، وهو المعروف باسم العرفى لدى البادية لأن

الحجل

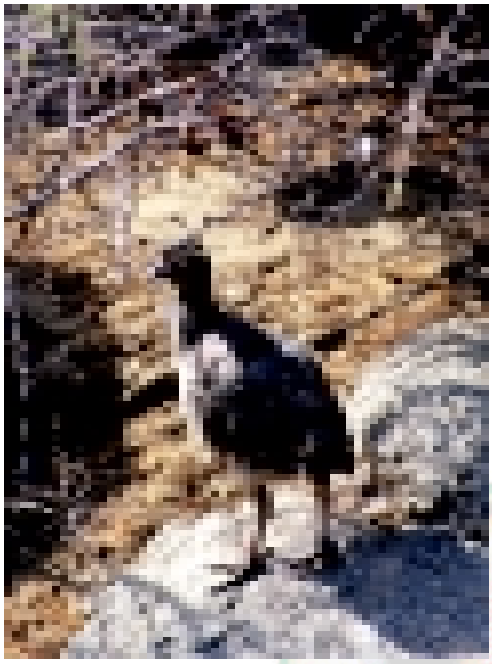

الحجل العربي

قمة رأسه سوداء، والحجل رمادي الرأس أو حجل فيلبي، وهو المسمى لدى البادية السفع لأن الريش الأسود يكسو خديه، والحجل الرملي أو حجل تهامة أو الدراج الرملي، وهو المعروف لدى البادية باسم الحجل أو الدرج.

والحجل العربي كبير الحجم، يبلغ طوله ٣٨سم، وينتشر في المنطقة الغربية من المملكة، وفي اليمن وسلطنة عمان. أحمر الساق أسفع الخدين على جانبيه خطوط بيض ورمادية وسود، وقمة رأسه سوداء ومنقاره ورجلاه داكنة الاحمرار. ويعيش في الوديان والمزارع والمرتفعات والجبال بين النباتات الكثيفة وفي شقوق الصخور. يتغذى على الأعشاب والحبوب والبذور والحشرات. ويتجمع في أسراب قليلة العدد.

أما الحجل ذو الرأس الأغبر أو حجل فيلبي، فهو طائر كبير الحجم أيضاً لكنه أصغر قليلاً من الحجل العربي، إذ يصل طوله إلى ٣٤سم فقط. ويسمى القهبي أو القهبية. أسفع الخدين، أغبر الرأس، مسود الرقبة، عريض خطوط الظهر. يوجد في المنطقة الغربية والجنوبية الغربية من المملكة. ويعيش في بيئات الحجل العربي الأحمر الساق ويتغذى على أنواع

الحجل

الغذاء التي يتغذى عليها. وهو من ألذ الطيور لحماً.

أما الحجل الرملي فهو أصغرها حجماً، إذ لا يزيد طوله عن ٢٤سم. لونه ترابي باهت، ورأسه ترابي داكن، والريش على الجانبين (الأكتاف) له عدة ألوان؛ منها الأبيض والأسود والبنفسجي، يشكل بذلك خطوطاً طولية ملونة. والمنقار قصير، والأرجل ذوات لون أصفر مشوب بحمرة. ويمتاز الذكر بوجود بقعة بيضاء خلف العين، وريشه أكثر من ريش الأنثى. وينتشر على سفوح الجبال والمناطق الصخرية والأودية المعشبة، ويتغذى على البذور وبعض الأعشاب والحشرات، ويخفي عشه على الأرض تحت الشجيرات. قالوا في المثل الشعبي «إذا فر الصيد بان الحجل»، وذلك أن الحجل إذا أحس بالخطر لطأ في الأرض حتى يتبين الأمر. والحجل بأنواعه من الطيور المستوطنة في المملكة العربية السعودية، يوجد في المناطق الشمالية الغربية، والمنطقة الوسطى، وسلسلة جبال عسير.

وورد عن الحجل في المخصص ما يلي: الحجل الواحدة الحجلة مثل صغار القبج، وهي بيضاء الرأس، وصوتها (وق...وق) وهي تقطقط. وقالوا في جمع الحجلة الحِجلى وأنشد:

فارحم أصيبيتي الذين كأنهم
حجلى تدرج بالشرّبة وُقّعُ

على أن الحجلى هي اسم للجمع كالقصباء والطرفاء وليست بجمع، لأن فعلى ليست من أبنية الجمع.

قال الطائفي: الحجلة طائر أحمر الرجلين والمنقار، أسفع الخدين، تحت جناحيه في جنبه مثل ما في جناح اليعقوب، والذكر أحسن من الأنثى. يقال للذكر قوقل وزُعقوق والأنثى فعيطة وزُقوقة. ويقال لأنثى الحجل الغبراء. وقال الأصمعي: الفرخ منها

السلك والأنثى السلكة والجمع السلكان. وقال بعضهم السُلَف والسلفان. قال أبو حاتم النجدي: من الحجل أخضر مثل البقل، أحمر الرجلين ويسمى صفردا، والتهامي من الحجل فيه بياض وخضرة، ويسمونه القهيبة. وقال غيره القهبي ذكر الحجل، واليعقوب ذكر القبجة. والقبجة اسم فارسي معرب، وصوته (فقا... فقا) ويقهقه، ويلقط الأولاد يطعمها. وقال الطائفي: اليعقوب طائر أغبر، أسود الخدين واللحي، الأسفل أحمر الرجلين والمنقار، ما تحت جناحيه يشبه العَصْب (المعلوف ١٩٣٢: ١٨٤).

وورد في كتاب الدميري حياة الحيوان الكبرى أن الحجل بالفتح الذكر من القبج والواحدة حجلة، وهو طائر على قدر الحمام كالقطا، أحمر المنقار والرجلين، ويسمى دجاج البر. وهو صنفان: نجدي وتهامي، فالنجدي: أخضر اللون أحمر الرجلين. والتهامي فيه بياض وخضرة، وفراخ هذا الطائر تخرج كاسية، ومن شأنها إذا لم تلقح أن تتمرغ في التراب وتصبه على أصول ريشها فتلقح. ويقال إنها تبيض من سماع صوت الذكر أو بريح تهب من قبله. وإذا باضت ميز الذكر الذكور منها فحضنها وهي تحضن الإناث، وهما كذلك في التربية. وهذه كلها مزاعم لا أصل لها في الحقيقة، فما من طائر ولا حيوان يلقح من التراب أو من سماع صوت الذكر أو هبوب ريح من قبله. قال التوحيدي: ويعيش الحجل عشر سنين، ويضع عشين، يجلس الذكر على واحد والأنثى على واحد. ومن طبع الحجل أنه يأتي أعشاش نظرائه فيأخذ بيضها ويحضنه، فإذا طارت الفراخ لحقت بأمهاتها التي باضتها. وقالوا في المثل الشعبي «فروخ الحجل ما ينجعون الدار»، وينجعون يعاودون، ويعني عدم الاستقرار بمكان واحد. وقال التوحيدي: وفي تركيبه قوة الطيران، حتى أن الإنسان إذا لم يره يظنه حجراً خرج من مقلاع،

الحجل

ويؤيد هذا المثل الشعبي «فرَّت حجل»، والفرة النفور والطيران بسرعة، وللحجل عند طيرانه صوت مميز. ويضيف قائلاً: والذكر شديد الغيرة على الأنثى، فلذلك إذا اجتمع ذكران اقتتلا على الأنثى فأيهما غلب ذل الآخر وتبعت الأنثى الغالب منهما. وفي طبع الذكر أنه يخدع أمثاله بقرقرته، ولذلك يتخذه الصيادون في أشراكهم ليكثر القرقرة فيجتمع إليه أبناء جنسه فيقعن معه. وهو يفعل ذلك كالحاسد لها والمنتقم منها. والأنثى إذا أصيب بيضها قصدت عش غيرها وغلبتها على بيضها أو تسرقه وتحضنه.

ويقول الدميري عن خواص الحجل: لحمها معتدل جيد سريع الهضم. إذا ابتلع من كبدها وهي حارة قدر نصف مثقال نفع من الفزع. ومرارتها تنفع الغشاوة المظلمة في العين اكتحالاً، وإذا سعط بمرارتها إنسان في كل شهر مرة احتد ذهنه وقل نسيانه وقوي بصره. وقال المختار بن عبدون: بيض الحجل ألطف من بيض الدجاج، وهو نافع للمترفهين وضار بأصحاب الكد، ويولد غذاءً معتدلاً، ويوافق أصحاب الأمزجة المعتدلة، وهو أجود هضماً من بيض الدجاج. وأجود ما يعمل أن يلقى في الماء وهو يغلي، وفيه ملح أو خل، ويكون الماء متساوياً عليه، وكذلك كل بيض، وأما المطجن من كل بيض فرديء جداً، يولد حجارة في المثانة ويحدث غماً. والمغلي في الماء أهضم منه وأنفع من المقلي في الأدهان أيضاً. وقال غيره: بيض الحجل إذا طبخ في الماء المغلي في الكمون والملح أو بخل عنصل وأكل نفع من المغص وسائر أوجاع البطن. وعن رؤية الحجل في المنام؛ الحجلة تدل على امرأة غير أليفة، وربما تدل رؤيتها على محبة الأولاد.

وقد ورد ذكر الحجل في الأدب العربي كثيراً من ذلك قول ذي الرمة:

فالعرب منه مع الكدري طائره
والروم طائره منه مع الحجل

وقول أبو الحسن الناصر العلوي في وصف الدراج:

صدور من الديباج نمق وشيها
وصلن بأحناء اللجين السوارج
وأحداق تبر في خدود شقائق
تلألأ حسناً كاشتعال المسارج
وأذناب طلع في ظهور كسونها
مجزعة الأعطاف صب الدمالج
فإن فخر الطاووس يوماً بحسنه
فلا حسن إلا دون حسن التدارج

وقول ابن الرومي في الدراج:

أراك أشفقت من الفالج
علي أو من بلغم هائج

إن كـان هـذا يـابـن سـاداتـنـا
فـاخـلفـه لـي بـالطـائـر الـهائـج

وقول كشاجم:

خـرجـنـا أمـس لـلـصـيـد
وكـنـا فـيـه حـذاقـاً
فـسـمـيـنـا وأرسـلـنـا
عـلـى بـخـتـك أطـلاقـا
فـجـاد الـلـه بـالـرزق
وكـان الـلـه رزاقـا
وأحـرزنـا مـن الـدرا
ج مـا الـرحـل بـه ضـاقـا
فـأطـعـمـت وأهـديـت
إلـى المـطـبـخ أوسـاقـا

وقول الفرزدق:

قد كـان بالعرق صـيد لو قنـعت به
فـيه غـنى لـك عن دراجـة الحـكم

وهناك بعض الأمثال عن الدراج منها المثل القائل «دراجة الحكم»، ويضرب في النفع القليل يجلب الضرر الكثير، وأصله أن بعض عـمال والي البصـرة الحكم بن أيوب الثقفي تغدى معه يوماً، فتناول من بين يديـه دراجة مشوية، فـحقدها علـيه الحكم، فعزله عن عمله.

## الدجاج الحبشي

طائر بري داجـن يعيش في القرى قرب المزارع والحقـول والبساتين بقرب الأنهار والمـياه. ولا يوجد بـشكل بري سوى في منطقة جازان. أكبر من الدجاج العادي وأجمل منه شكلاً.

يقول المعلوف (١٩٣٢: ١٢٠) عن هذا الطائر هو غِرْغِر والواحدة غِرْغِرَة. حُبَيش والواحدة حُبَيْشَة. دجاج حبشي والواحده حبـشية. وهو طائر من رتبـة الدجـاج، يعـرف في الـشام بـدجاج فرعون، وفي مصر بفراخ السودان، وفي بعض أنحاء السودان بجداد الوادي، أي دجاج الوادي، وجداد الخلا، وفي بربرة بالغرغر والحبيش. وفي العراق بالدجاج السندي.

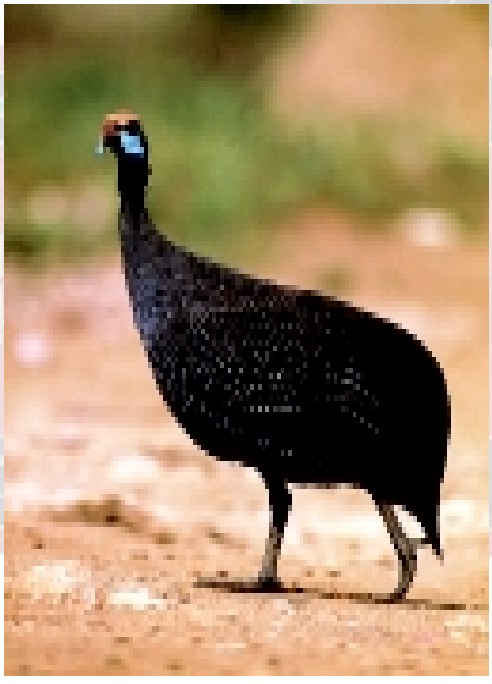

دجاج الحبش

زوج من دجاج الحبش

«ويبلـغ طول هذا الطائـر ٦٣سم، ورأسه صغـير مقارنة بـحجم جسمه. ويتدلى الذيل إلى أسفل، قاعدة الرقـبة ذات لون بنفـسجي. ويوجد في أعلى الرأس نتوء قرني ذو لون بني باهت يشبه القلنسوة ويكون طويلاً معقوفاً للخـلف في الذكر وقصيراً ناتئاً في الأنثى. وريش جسم الطائر رمادي قاتم أو فاتح اللون، مغطى بنقط بيض اللون تنتشر عليه بشكل كثيف. وتوجد زائدة لحمية حمراء اللون عند قاعدة المنقار وتحت العين.

وبيـئة هـذا الطائـر حقول الحـبوب الزراعية، والتلال الجبلية والأودية والسهول الرعويـة. ويتغذى علـى الحبوب وبذور النباتات وبعض الأعشاب والحشرات. وهو طائر مستوطن في المملكة العربية السعودية يكثر وجوده في وادي جوا بمنطقة جازان» (الوليعي ونادر ١٩٨٩: ٦٦).

## السمانى

السمانى نـوع من الطيور التي تفـد إلى المملكة، وبصفة خاصة إلى أجزائها الشمـالية والشرقـية. ويعرف في هـذه المناطق باسم المُرَيْعي وفي الوسطى يسمى المرع. يختفي في الأشجار والشجيرات، وإذا أحس حركـة اختبأ فـي شجرة أو نحوها، وإذا اقترب منه الإنسان أو الحيوان طار فجأة. ويحدث طيرانه مثل الصفير والأزيز الحاد مما يفزع مـن يسمعه على حين غفلة ويجفل الحيوانات التي يـطير

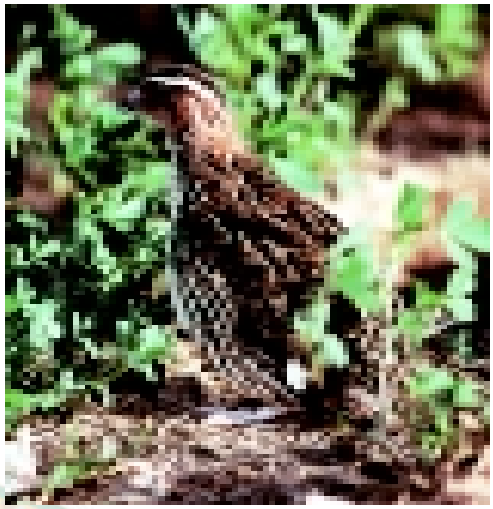

السّمان

من أمامها. قالوا في المثل الشعبي «فرَّت مريعي»، ويتغذى على الحبوب وأوراق الأشجار والأعشاب وبذورها، ولا يطير في مجموعات كبيرة كالطيور الأخرى، إذ غالباً ما يشاهد منفرداً.

ومن أسمائه السلوى للواحد وللجمع، والواحدة سلوة، كما يقال سمانى للواحد وللجمع والواحدة سماناة وجمعها سمانيات. طائر من رتبة الدجاج، وفصيلة التدرج التي منها الدجاج الحبشي والحجل والدراج. واسمه عند العامة في مصر سِمّان، وفي حلب سُمَّن، وفي لبنان وفلسطين وأنحاء أخرى من الشام فرِيّ، وفي الجولان مُرَيعيّ. والسلوى عربية، أما السمانى فهي فارسية معربة (المعلوف ١٩٣٢: ١٩٩).

أما السمانى أو المريعي كما يسمى في شمال المملكة فقد ذكره بصري الوضيحي الشمري حيث يقول:

أوهف عليهم فوق بنت الحصان
توهيف شيهان خطف له مريعي

وقال القزويني في عجائب المخلوقات: السمانى طائر صغير، وهو السلوى الذي كان ينزل على بني إسرائيل. وقال الزبيدي: هو بضم السين وفتح النون، على وزن الحُبارَى، اسم لطائر يلبد بالأرض، ولا يكاد يطير إلا أن يطار. والسمانى طائر معروف، ولا تقول سُمّانى بالتشديد والجمع سُمانيات والعامة تقول للواحد سمّنة وللجمع سمَّن وسمامن، ويسمى قتيل الرعد من أجل أنه إذا سمع صوت الرعد مات. وهو من الطيور القواطع، لا يدرى من أين يأتي، حتى أن بعض الناس يقول إنه يخرج من البحر الملح، فإنه يُرى طائراً عليه، وأحد جناحيه منغمس فيه، والآخر منشور كالقلع، ولأهل مصر عناية به ويتغالون في ثمنه.

ومن عجيب أمره أنه يسكت في الشتاء، فإذا أقبل الربيع يصيح ويتغذى بالبيش والبيشاء وهي سم ناقع قاتل.

«يبلغ طول الطائر ١٨سم، ولون ظهره بني مختلط ببقع بنية داكنة وخطوط

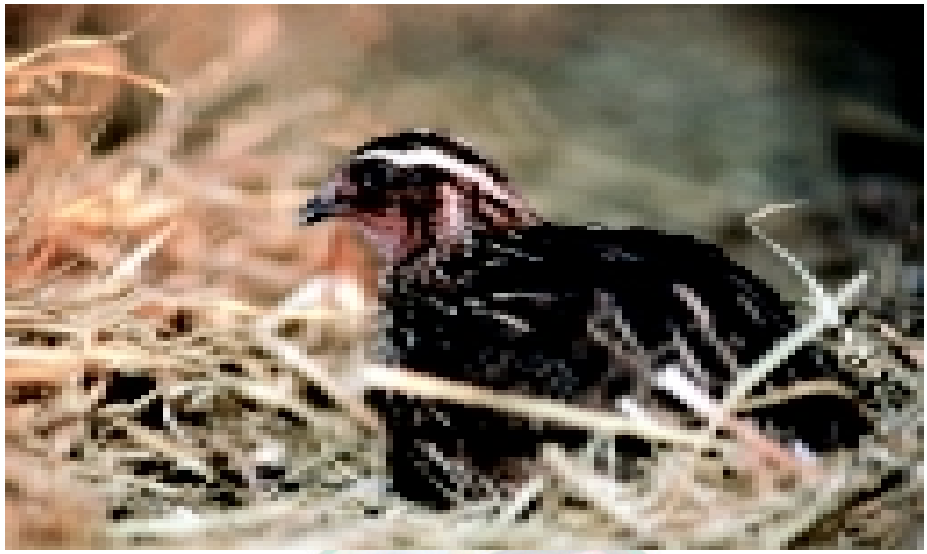

طائر السمان يأتي إلى المملكة زائراً في فصل الصيف

طولية صفر، ولون البطن أبيض، والمنقار بنـي رمادي، والأرجل رملـية اللون. ويطلق الطائر عدة أصوات منها (كوك.. لـوك... اك) أو (كرك... كـرك... كرك) وهو يعيش في المزارع والسهول المعشبة والمناطق شبه الصحراوية. ويتغذى على الحبوب وبعض الأعـشاب والحشرات. وهو طائر مهاجر يأتي إلى المملكة زائراً في فصل الصيف، حيث يرى في المنطقة الشرقية، والمـنطقة الشمالية» (الـوليعي ونادر ١٩٨٩: ٦٨).

وكما قالوا في المثل الشـعبي «الطير يحبـل له ويصاد» فـإن السمانـى يصاد بالشبك، حيث يقيم صيادوه شبكة طويلة قد يصل طولها إلى نحو ١٠٠م وعرضها إلى ٣م، يجعلونها مركوزة على أعمدة مما يلي مشـرق الشمس أو مغربها، إذا كان الصيد في وقت العصر، ثم يدخل الصيادون إلى الزراعات المحصولية قمحاً كانت أو شعيراً ويصوتون أصواتاً عـالية بأفواههم أو بالطرق على التنك لإزعاج طيور السمانى وتخويفها. ومتى وصلوا إلى آخر المزروعات اضطرت السمانى إلى الطيران فتصطدم بالشباك التي لا تستطيع أن تراها لمواجهـتها للشمس وتقـع فيها ولا يمكنها الفكاك فيجمعها الصيادون.

ويقول الدميري عن خواصه: لحمـه حار يابس وأجوده المخاليف الطرية، وأكله ينفع مـن وجع المفاصل من برد، لـكنه يضـر بالكبـد، ويدفع ضرره الـكسبـرة

والخل. وهو يولد دماً حاراً، وهو موافق لذوي الأمزجة الباردة والمشايخ، ويكره مشوي السمانى ليبسه وتجفيفه. قال ابن عيدون وقال غيره: مزاج لحمه بين الدجاج والحجل، وهو إلى مزاج الدجاج أميل، وهو جيد الكيموس، وأكله يفتت الحصا ويدر البول، وإذا قطر دمه في الأذن سكن وجعها، وإذا أديم أكله ألان القلب القاسي، ويقال إن هذه الخاصية موجودة في قلبه فقط. ورؤية السمانى في المنام تدل على الفوائد والأرزاق من جهة الزرع والفلاحة، وهو لمن يقصد سماعه دليل على عدم سلامة الأرزاق من الشبهات، وربما دل على اللعب واللهو والتبذير، وربما دلت رؤيته على الجرم بما يوجب الحبس والصلب والله أعلم.

## السُّمَق

طائر من طيور الصيد التي تفد إلى الجزيرة العربية، وتوجد في المملكة العربية السعودية في شمالها الغربي. وهو طائر برمائي يعيش قرب المياه، وفي الرياض والفياض، ويفد في فصل الخريف، وربما استقر وفرخ. والسمق بحجم طائر الكروان، لكنه أكدر اللون، يميل إلى اللون الرمادي، وأجنحته سود، وله ساقان طويلان، ومنقاره طويل، ويطير مجموعات بقدر المستطاع. يعيش على الحبوب وأوراق الأشجار والنباتات، ويكثر وجوده أيام الأمطار حول الغدران في الرياض والفياض ويصاد بالصقور والفخاخ والشرك. قال الشاعر عبد المحسن بن حمود الهذيلي:

يشدى لحرٍّ هد من راس قاره
صبح المطر لى شاف جول السماقي

يشدى: يشبه، هد: انطلق، القاره: الجبل الصغير الملموم، جول: فريق أو فرقة، السماقي: جمع سمق.

## القوبع

يقال لها قنبرة وقبّرة وحمَّرة، وتسمى أيضاً أم عريف والعقلاء والقوبع

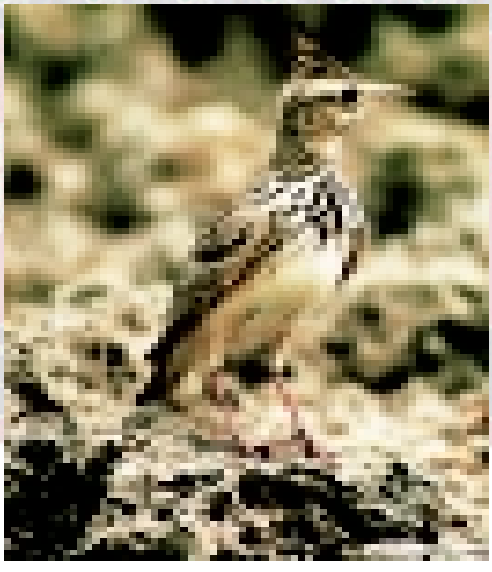

القوبع (القنبرة)

والأخرج. طائر متوسط الحجم باهت اللون يميل إلى الحمرة أو الغبرة يكثر في الأرياف وحول المزارع. والقنبرة طائر حذر من الصيد مغرور بنفسه، يجرى بخيلاء حين يسير على الأرض. لا يتحمل أشعة الشمس تجده دوما يبحث عن الظلال تحت الشجر والجدران وغيرها. يعيش على الحبوب وأوراق الزرع والنبات وبذورها. يغرد بصوت شجي، وذلك ليدعو رفاقه.

ويعرف الطائر في جزيرة العرب والشام والعراق والسودان بالقنبرة، وفي شرق جزيرة العرب بالحمرة. ويكنى في اليمن بأبي قوبع، ويسمى عند عامة أهل مصر بالدالوع، ويكنى بأبي المليح. ومن أنواع القنابر: المكاء والعلعل. والمكاء: طائر من القنابر، له صفير حسن، وتصعيد في الجو، وهبوط. وهو في ذلك يمكو أي يصفر، لذلك سمي بالمكاء. وهو طائر غرد طروب يصدح بأصوات شجية مطربة، وخاصة في فصل الربيع عندما تكون الأرض معشبة، فلا أجمل ولا أندى وأشجى من صوته. وقد قال فيه الشاعر الشعبي محمد بن دخيل الله الأزيمع:

يام سالم ثَريك منافقيّه
طول يومك تجرّين الغواني

ويوجد عدة أنواع من القنابر منها: القنبرة المتوجة، وقنبرة الصحراء، وحمرة البادية، وحمرة موشمة الذنب، والقنبرة السوداء، والعليعلة قنبرة قصيرة الأصابع، وقنبرة الحقول، وقنبرة الفياض. أما العلعل والعلعال فهو في كتب اللغة ذكر القنابر، أي الكبير منها. ولما كانت القنبرة المسماة كلاندرة هي أكبر القنابر فقد أطلقت العلعل عليها (المعلوف ١٩٣٢: ١٤٦-١٤٧). قال الدميري: وكنية الذكر من القبَّر (جمع قبرة) أبو صابر وأبو الهيثم، والأنثى أم العلل.

وهذا الضرب من الطيور قاسي القلب، وفي طبعه أنه لا يهوله صوت صائح، وربما رمي بالحجرة فاستخف بالرامي ولطىء بالأرض حتى يتجاوزه

قنبرة متوجة (قوبع)

الحجر، وبهذا السبب لا يزال مأخوذاً أو مقتولاً، لأن الـرامي يحمله الحنـق عليه على مداومة ضربه حتى يصيبه. يضع وكره على الجادة حباً للأنس. ومع أن القبرة طائر شديد الاحتياط إذا وقع على شيء لا يزال ينظر يميناً وشمالاً ووراء، ومع ذلك فهو كثير الوقوع في الفخ.

ذكر الإمام الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي أن رجلا صاد قبرة فقالت: ما تريـد أن تصـنع بـي؟ قال: أذبـحك وآكلك، فقالـت: والله إني لا أسمن ولا أُغني من جوع، وما أشفي من قرم، ولكني أعلمك ثلاث خصال هي خيـر لك من أكلـي. أما الواحدة فأعلـمك إياها وأنا على يدك، والثانية إذا صرت على الشجرة، والثالثة إذا صرت علـى الجبل. قال: نعم. فـقالت وهي على يده: لا تأسفَنَّ على ما فاتـك، فخلى عنها. فلما صارت على الشجرة قالت: لا تصدقَنَّ بما لا يكـون. فلما صارت على الجبل قالت: يا شقي لو ذبحتني لوجدت في حوصلتي درة وزنها عشرون مثـقالا. ، قال: فـعض علـى شفتـيه وتلهف ثم قال: هاتي الثالثة، فقالت: قد نسيت الثنتين الأوليين فكيف أعلمك الثالثة؟ قال: وكيـف؟ قالت: ألم أقل لك لا تأسفن على ما فاتك وقد تأسفت

قوبع

علي، وقلت لك لا تصدقن بما لا يكون وقد صدقت، فإنه لو جمعت عظامـي وريشي ولحمي لم تبلغ عشرين مثقالاً فكيف يكون فـي حوصلتي درة وزنها عشرون مثقالاً؟.

ومن طريف ما يحكى أن أول شعر قاله طرفة بن العبد اقترن بصيد القبرة. فإنه خرج مع عمه وكان ابن سبع، ونزلا على ماء، وذهب طرفة بفخ له، ونصبه للقنابر في موضع اسمه معمر، وانتـظر عمه يوماً ولكنـه لم يظفر بشيء، فعاد إلى عمه بفخه، وشـاهدا القنابر تلتقط الحب الذي نثره لها، بعد أن رحلا عن المكان فقال طرفة:

يـالـك مـن قـبـرة بمـعـمـر
خـلا لك الجـو فبـيضـي واصفـري

قد رفع الفخ فماذا تحذري؟
ونقري ما شئت أن تنقري
قد ذهب الصياد عنك فابشري
لابد يوماً أن تصادي فاصبري

وفي الشعر الشعبي أشار الشاعر إلى طائر الحمرة بقوله:

الحمره تنزل بعال المراقيب
والحر الاشقر بالطهاره جلوسه

وقال خلف أبو زويد الشمري:

الحمره تدرك معوشة عياله
لى عاد ما يبغى منه باق الأحوال

من خواصها: لحمها يحبس البطن ويزيد في الباءة، وبيضها يفعل ذلك، وإذا ديف زبلها بريق إنسان وطلي به الثآليل قطعها.

## العصفور

العصفور من الطيور المألوفة في البيوت والحدائق والبساتين والمزارع في جميع أنحاء العالم. يتغذى على الحبوب والثمار. لونه موحد في كل مكان؛ لون الأنثى باهت بين الصفرة والخضرة والرمادي، أما الذكر فمناكب أجنحته بنية، وعند حلقه نقطة سوداء، وكأنه مكحل العينين، ولذلك يسمى الكحالي والأنثى تسمى السليقا.

ويقول شاكر إن العصفور بضم العين وسكون الصاد، وفي رواية أخرى بفتح العين، والأنثى عُصفورة والجمع عصافير: طائر معروف وهو أنواع منها: النقاز، والنفر، والراعية، والحزق، والحمر، والصرار، وعصفور الشوك، وعصفور الجنة وهو الخطاف. وقيل يطلق اسم العصفور على كل ما هو دون الحمام من الطير قاطبة. أما المقصود هنا فهو النوع المعروف بالدوري (نسبة إلى دور السكن) وهو أشهرها. وكنية العصفور أبو الصعو. والصعو هو العصفور الصغير، وأبو محرز وأبو مزاحم، وأبو يعقوب.

وقد وردت في العصفور أمثلة كثيرة منها «أخف حلماً من العصفور»، «وأسفد من عصفور»، والعصفور مشهور بكثرة السفاد، حتى قيل أنه ربما سفد في الساعة الواحدة مائة مرة ولذلك قصر عمره. وقالوا أيضاً «أنزى من عصفور» ذلك لأن العصفور دائم الحركة لا يستقر أبداً ما كان خارج وكره، وقالوا «طارت عصافير راسه» كناية عن الكبر، وقالوا «عصفور في يدك خير من كركي في الهواء» وقالوا «العصفور في النزع، والصبيان في اللعب» وقالوا «كالعصفور إن أرسلته فات وإن قبضت عليه مات».

ويقول القلقشندي في صبح الأعشى «بضم العين، وحكى ابن رشيق في كتاب

الغرائب: فتحها. والأنثى: عصفورة، وكنيته: أبو الصعو، وأبو محرز، وأبو يعقوب. قال حمزة: سمي عصفوراً لأنه عصا وفر، وهو أنواع كثيرة، وأشهرها المعروف بالدوري، ووكره العمران تحت السقوف خوفاً من الجوارح، فإذا خلت مدينة من أهلها ذهبت العصافير منها. وهو كثير السفاد، حتى إنه ربما سفد في الساعة الواحدة مائة مرة. وفرخه تدرب على الطيران حتى أنه يدعى فيجيب. قال الجاحظ: بلغني أنه يرجع من فرسخ» (١٩٨٥، ج٢: ٨٤).

وقال القزويني في كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات قالوا الطير ضربان: أحدهما بهائم الطير وهي التي تلقط الحب، والآخر سباع الطير وهي التي تتغذى باللحم. والعصفور يشبهها جميعاً لأنه ليس بذي مخلب ويلقط الحب، وكذلك يأكل اللحم ويصطاد الجراد والصرصر. وبين العصافير والحية عداوة، فإذا قصدت الحية وكرها اجتمعت العصافير ورفعت شقاشقها ولا تبقى عصفورة سمعت صاحبتها إلا جاءت إليها وصاحت معها، وربما تقرض الحية بمنقارها فتخرجها فيجتمع النمل عليها فتكون سبباً في هلاك الحية، وإن نهقت الحمير فسد بيض العصافير.

أما خواص العصفور فيقول القزويني: دمه يخلط بدقيق العدس ويتخذ بنادق ويطلى به القضيب ولا يضع قدمه على الأرض، فإنه يرى شيئاً عجيباً من إفراط اللذة وكثرة الشهوة. ولحمه يهيج الباءة ويكثر الرياح، وبيضها من يتحسى به يكثر جماعه. ويدفن تحت الزبل ثلاثة أيام ثم يخرجه ويطلى به الناصور ينفعه نفعاً بينا. وذرقه يكتحل به يزيل الغشاوة، وإن شربه الإنسان في النبيذ يخر كالميت.

أما العصافير فكان الشعراء يضربون بأحلامها مثلاً لأحلام السفهاء. قال جرير يخاطب الفرزدق:

لا تفخرن وفي أديم مجاشع
حلم فليس سيوره بسيور
أبني شعيرة لم نجد لمجاشع
حلما يوازن ريشة العصفور

وأدرك القدامى حقيقة ضعف الإنسان، فقرنوا ذلك الضعف بضعف هذا الطائر، فشبهوا به أنفسهم من باب المجاز لغرض التصغير والتحقير وعدم القدرة. قال مجنون ليلى يشبه نفسه وما يعانيه من وجد واشتياق وبعد عن الحبيبة بعصفورة ربطها طفل وأذاقها العذاب:

متى يشتفي منك الفؤاد المعذب
وسهم المنايا من وصالك أقرب

فبعد ووجد واشتياق ورجفة
فلا أنت تدنيني ولا أنا أقرب
كعصفورة في كف طفل يزمها
تذوق حياض الموت والطفل يلعب
فلا الطفل ذو عقل يرق لما بها
ولا الطير ذو ريش يطير فيذهب

وعبر بشار بن برد عن زيارته لمعشوقته قبل بزوغ الفجر، فقال:

لربما شاقني طيف بصورتها
وزرتها قبل أصوات العصافير

وقضى كلثوم بن عمرو العتابي ليلة ساهرا بحوارين مع محبوبته حتى انقبض الظلام، وتفلتت من ستائره أضواء الفجر الخفيفة:

ياليلة بحوارين ساهرة
حتى تكلم في الصبح العصافير

والعصفور يضرب به المثل في صدق الحس وشدة الحذر والفطنة والذكاء، لذلك يحرص الصائد على دفن الفخ جيدا في التراب حتى لا ينفر منها. وقد صور ذلك الشاعر أبو نواس في إحدى قصائده:

قد كاد هذا الفخ أن يعقرا
وانحرف العصفور أن ينقرا
غيبت بالترب عليه له
بالمستوى خشية أن ينفرا
حتى إذا أشرفها موفيا
وعاين الحب لها مظهرا
خاطبه من نفسه زاجر
قد كنت لا أرهب أن يزجرا
فأعمل الفكر قليلا فلا
يقتله الرحمن ما فكرا
فاحترت لا ونعم ساعة
ثم انجلى جند نعم مدبرا
فضم كشحيه إلى جؤجؤ
كان إذا استنجده شمرا
فلم يرعني غير تدويمه
آمن ما كنت له مضمرا

قال ابن الرومي:

أرى العصفور يعبث بالفخاخ
وما لخناقه فيها مراخي

وقال أعشى همدان:

قالت تعاتبني عرسي وتسألني
أين الدراهم عنا والدنانير
فقلت أنفقتها والله يخلفها
والدهر ذو مرة عسر وميسور
قالت فرزقك رزق غير متسع
وما لديك من الخيرات قطمير
وقد رضيت بأن تحيا على رمق
يوما فيوما كما تحيا العصافير

وقال ابن الرومي:

أرى رجالا قد خولوا نعما
في خفة الحلم كالعصافير
تبارك الله كيف يرزقهم
لكنه رزاق الخنازير

قال قعنب بن أم صاحب:

مثل العصافير أحلاما ومقدرة
لو يوزنون بزف الريش ما وزنوا

وقال ذو الرمة:

ومنهل آجن كالغسل مختلط
باكرته قبل ترنيم العصافير

وقال امرؤ القيس:

كما راع ممسى الليل أو مستوى الضحى
عصافير حجران الجنينة أجدل

وقال العوام بن شوذب:

فلو أنها عصفورة لحسبتها
مسومة تدعو عبيدا وأزنما

وقال حسان بن ثابت:

لابأس بالقوم من طول ومن قصر
جسم البغال وأحلام العصافير

وقال آخر:

رأى في النوم عصفورا
فوارى نفسه أشهرا

وقال ابن المعتز:

فكم عناق لنا وكم قبل
مختلسات حذار مرتقب

نقر العصافير وهي خائفة
من النواطير يانع الرطب

وقال علي بن مقرب العيوني:

وارغب بنفسك أن تقيم ببلدة
عصفورها يسطو بشهب بزاتها

وقال أحمد الصافي النجفي:

تغني أيها العصفور صبحا
فقل لي ما لنفسي لا تغني
لقد جاء الربيع بكل زهر
وزين في الخمائل كل غصن

وقال الرصافي:

فأطربني والديك مشج صياحه
ترنم عصفور يزقزق في وكر

أما الأمثال الشعبية فورد فيها قولهم «عصافير سدره» ويضرب لكثرة اللغط والأصوات المختلطة المتداخلة، ويكثر صخب العصافير حين ترى اليؤيؤ إذ هو من أعدائها، قالوا في المثل «عصافير وشافت الجلمه» وكذلك قالوا «كنهم عصافير شايفة داب»، واستعير هذا الموقف للدلالة على خوف الإنسان نفسه قالوا «طيّر عصافير قلبه»، ولأنه صخاب يضرب به المثل أيضاً قالوا «العصفور يقاقي والرجّال يلاقي» ويضرب المثل للجبناء الذين لا يحسنون سوى صخب العصفور الضعيف، ولذلك فإنه يضرب به المثل أيضاً فيقال «عصفور ما يسوى الكيله» إذ الطلقة النارية أغلى منه ثمناً، ولكنه على قلته إذا حصل خير من كثير غير محصل «عصفور في اليد اخير من عشرة على الشجرة»، وقالوا «عصفورين بحجر» يضربون هذا المثل لحسن التوفيق. والعصفور على ضعفه وخفته قد يكون

له تأثير لأن «العصفور يهزع الرشا»، وقالوا «عصافير الفرعه رزقها في وشيقر»، و«عصفور طويّه: يا الله هاته، يا الله ردّه»، والعصافير على ضعفها مهددة لمحاصيل الإنسان ولكن تهديدها لا يمنعه من العمل قالوا «لو حسبنا للعصافير ما زرعنا الدخن» ويضرب للحث على العمل بعزيمة والمغامرة في ذلك.

## وسائل صيد الطيور الصغيرة

تعد أراضي الجزيرة العربية من بين أهم مناطق عبور الطيور، أثناء هجرتها في الشتاء من المناطق الشمالية في أوروبا وآسيا، إلى المناطق الجنوبية الدافئة حيث يمر بأجوائها، وخصوصاً على المناطق الساحلية الشرقية والغربية، مئات الآلاف من هذه الطيور. وبعضها يشتو في المملكة العربية السعودية، والبعض يمر بها في طريقه إلى إفريقيا. وهناك أيضاً بعض أنواع الطيور النادرة في العالم تستوطن المملكة وتتكاثر فيها. ويعد صيد الطيور من الهوايات أو الحرف القديمة التي مارسها ويمارسها كثيرون من أهالي المملكة كبارهم وصغارهم. وقد أتينا على ذكر معظم هذه الطيور وتحدثنا عنها بشيء من التفصيل ومن أهمها:

طيور تصاد بالفخاخ والمجلاد وما يشبهها: وهي طيور موسمية تأتي مهاجرة من الشمال في أواخر الخريف، وتعود من الجنوب إلى مواطنها في أوائل الربيع من كل عام. ويقوم الصيادون بالاستعداد لها للحصول على أكبر عدد ممكن منها أثناء رحلتي القدوم والعودة. وكانت تصاد قديماً بالشباك والأحابيل والفخاخ الكبيرة والمجلاد وما يشابهها، وبعد أن ظهرت الأسلحة والبنادق استخدمت بإسراف في صيد أعداد كبيرة منها. وما زالت البنادق تستخدم في صيدها، رغم إصدار نظام الصيد في المملكة، الذي يمنع استخدام بنادق الشوزن في الصيد، ويسمح باستخدام الصقور والكلاب فقط، ويحدد شروطاً معينة لصيد هذه الأنواع ويمنع صيد الأنواع المهددة بالانقراض منها.

وتضم هذه المجموعة من الطيور عدداً كبيراً من الأنواع منها الخضاري، وهو طائر في حجم الحمام، أزرق الظهر مع خضرة، أخضر البطن، وأطراف أجنحته سود ورقبته خضراء رمادية، وبه تكحيل قرب عينيه. يتغذى على الجراد والحشرات المشابهة ويأكل الثمار، وفي لحمه زخم مثل زخم الغرنوق. يأتي مهاجراً في فصل الخريف ليبقى بعض

وروار أخضر (قرار)

الوقت ثم يواصل هجرته. لا يتكاثر في المملكة. ومنها القارور أو لعبة المطر أو الشحرور، ويسمى أيضاً آكل النحل، وحجمه أكبر من حجم العصفور بشيء قليل، يتراوح لون الظهر بين الأخضر والأصفر، البطن خضراء، وأطراف الجناحين سود. ومنقاره كبير نسبياً، يطير

القارور (الشحرور)

في مجموعات نهاراً وليلاً خاصة في الليالي المقمرة والأيام الممطرة. له صوت جميل على وقع «قرر.. قرر» في نغمة عذبة. وهو من أوائل الطيور التي تصل إلى المملكة في طريق هجرتها أوائل فصل الخريف. يسهل صيد أعداد كبيرة منه لكثرة أعداده التي تأتي في أسراب كثيفة تقع على الأشجار فيسهل صيدها، ولا زخم في لحمه.

ومنها الصفارى، وهو طائر دون الحمام حجماً أيضاً يغلب اللون الأصفر عليه كله، ويختلط اللون الأصفر في ظهر الأنثى منه بخضرة أو غبرة. أما الذكر فهو أصفر اللون كله وأطراف جناحيه وذيله سود يتغذى على التمر في رءوس النخل كما يلقط العنب من الكروم. ويشبه طائر الخضاري في طريقة طيرانه من حيث أنه يقبض جناحيه ويبسطهما ليطير، ولا يرفرف بهما في طيرانه. يبقى في المملكة طول فصل الخريف حيث يصاد. وهو سمين طيب اللحم لا رائحة له ولا زخم فيه، ويغني الواحد منه عن ثلاثة مما سواه من الأنواع المماثلة في الحجم.

ومنها مالك الحزين أو المالكي، وهو طائر أكبر حجماً من سابقيه إذ إنه في حجم البط المتوسط لونه أبيض مع مسحة

من غبرة، رقبتـه طويلة ومنقاره ضخم طويل، يحفر به في التربـة ليبحث عن الديـدان التي يتـغذى عليـها، وساقـاه طويلان. يأتي إلى المـملكة مهاجراً في فصـل الخريـف، حيـث يحـط علـى الأشجار قرب موارد المياه، ولا يبقى في المملكة طويلاً حتى يواصل رحلة هجرته إلى الجنوب. تصاد منه أعداد كبيرة إلا أنها تكون مـهزولة مع رائحة في لحمه وزخـم يشـبـه زخـم لحم الخـضـاري والغرنوق.

طيور تـصاد بالفخـاخ أو النباطه: وهذه كثـيراً ما يصطادهـا الصغار قبـل الكبار، ويقضون أوقاتاً ممتعة في ممارسة صيدها، تنتهي بوجبة أو وجبات شهية طيبة مـن لحومها. وتشمـل طيور هذه المجمـوعة العـصافـير، وهي الـطيور الصغيرة الحجم المعروفة بالحذر، وأنثى العصفور يقال لها الحريرا. وفي القصيم يسمونها أمّـيه. أما الذكر فهو الكحالي المعروف بشدة الحذر، ولذلك يقول العوام عـن الشـخـص الحذر «فُـــلان مثـل الكحالي». وهو يشتهر لدى كبار السن بذكائه، حتى إنهم يحكـون عنه أنه في الشتاء يطلب من أنثاه أن تبقى في وجه العش حتى تحميه من البرد، وفي الصيف يطلب منها أن تكون بالداخل، ويستأثر هو بالبراد. ومنها الدخّله، وهي الأنثى ويقال للذكر شيخ الدخّل، ويعرف بصفار في حلقه يميزه عن أنثاه. ومنها أم سويد وهو طائر أسود بحجم العصفور تقريباً ويسمى الشوّله أيضاً لأنه ما يزال يشول بذنبـه، يستدرجـه الأطفال نحو الـفخ بتـرديدهم الـقول «أم سويد الـزرير»، بصوت جميـل ولحن لطيف، يصاحبه صفير بالفم ممـا يغري الطائر بأن يدرج نحو الفخ ليقع فيه بدلاً من أن يطير.

ومنهـا أم سالم وهو طائر المـكاء، طائر جميـل رشيق، ترابي أغبر اللون في حجم الـصرد وأصغر من الحمام. يصدح بأغاريد شجية في وقت الربيع. يقول فيه الشاعر محـمد بن دخيل الله الأزيمع:

أم سالم

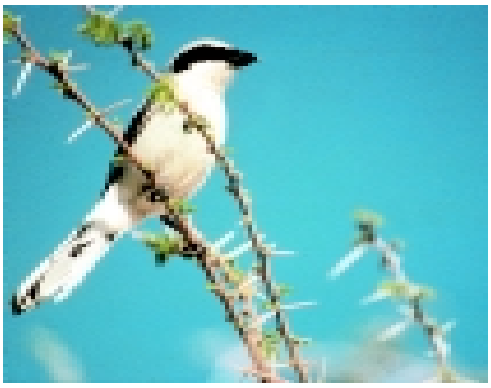

الصرد

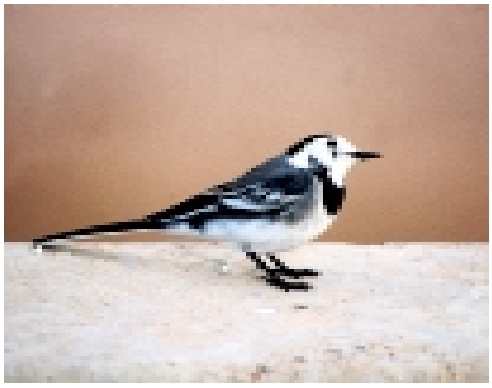

الصرد (السرد)

يام سالم ثريك منافقيه
طول يومك تجرّين الغواني

ومنها الصرد، وهو طائر جارح أكبر حجماً من العصفور يصاد بالفخ أو الحقة، مشهور بحدة النظر وسرعة النقر. يدعو به الصغار بعضهم على بعض بقولهم «جعلك الصرد اللي ينقر عينك». ولا يحل أكله بل يصاد ويلقى به، وهو فعل محرم. ومنها العرقبي وهو طائر رمادي اللون أكبر قليلاً في حجمه من العصفور.

الصرد سريع النقر

ومنها الحجل بأنواعه المعروفة وألوانه التي تماثل إلى حد كبير لون البيئة التي يعيش فيها. يقولون في الأمثال الشعبية «مثل عيال الحجلة».

ومنها الصعو وهو طائر في مثل حجم العصفور، جميل رشيق متناسق، يتراقص عند وقوفه، سمين لذيذ الطعم يتميز بألوان زاهية تضم الأصفر والأخضر والرمادي، فمنه الأصفر الفاتح بكامل جسمه ويسمى الشويخه، ومنه الأخضر الظهر الأصفر البطن ذو الرأس الأسود ويسمى سودا راس، ومنه الأخضر الظهر الضارب إلى الزرقة الأصفر البطن رمادي الرأس وبه تكحيل قرب عينيه، ومنه الأخضر الظهر رمادي البطن المكحل بالبياض وهو أشدها حذراً. ويعتقد العامة أنه لا يبيض، ولذلك يضربون به المثل في قولهم «مثل

بيض الصعو يذكر ولا يشاف»، وقولهم «ليا بيض الصعو»، وذلك عند استحالة الشيء أو عدم الوفاء به. ويقولون في الأمثال العامية أيضاً «فلان مثل حمار الصعو»، ويضرب للشخص الذي يكون قاعدة تجمع لأقرانه، لأن الصعو يكثر الوقوع على ظهور الحمير، ربما للتغذية على حشرات تلازمها. ويقولون «فلان لسانه تزلق به الصعوه». وللصعو من الذكاء وقوة الملاحظة ما يجعله يفطن إلى وجود الشراك والفخاخ، ويحذر أقرانه من الاقتراب منها، وذلك بإصدار أصوات معينة، وقد يطير قليلاً ثم يحط وهو يصدر أصوات التحذير، ويسميه العامة لذلك الطارود أو الطاروده. ومنها الزغبر، وهو أيضاً طائر رشيق جميل في حجم الصعو، حتى إنهم يظنونه أنثى الصعو إذ إنه يشبهه في كل شيء إلا لون ريشه، إذ إنه بشكل عام ذو ظهر رمادي غامق وبطن رمادي فاتح أو مبيض ورأس وذيل أسودين. وعلى حنجرته نقطة سوداء مثلثة الشكل. وهو مثل الصعو من آكلي الحشرات والديدان.

وهناك البزباز ذو اللون البني المنقط بالذهبي وهو بحجم سابقيه، إلا أنه يتصف بالغباء عامة ويطلق عليه العامة اسم اخو حمده. ومنها القوبعه وهي من أشد الطيور إغارة على الزروع ولذلك يرجمها الفلاح. ومنها القنابر أو العقلاء، أم عريف، ومنها الحمَّر (الواحدة حمَّره)، وهي أيضاً بحجم العصفور تعيش في المناطق البرية على بذور النباتات الفطرية وحبوبها، كما تعيش قرب المزارع في القرى، ولونها ترابي أغبر يقترب من لون التربة. وهي مسالمة وديعة من أكسل الطيور في إعداد عشها، ومن أقلها مبالاة ببيضها وفراخها. فكل ما تفعله لوضع العش هو أن تضع أفحوصة صغيرة بقدر مجثمها، وتضع فيها من بيضتين إلى ثلاث بيضات ترقد عليها. وتتجاور أفاحيص الحمر في نفس المكان، لا يفصل بينها سوى أمتار معدودة. ويضرب العامة المثل بالحمَّرة في إدراكها معيشة أفراخها رغم قناعتها ومسالمتها. يقول الشاعر خلف ابو زويد الشمري:

الحمّره تدرك معيشة عياله
لى عاد ما يبغى منه باق الأحوال

وهناك عدد من أنواع المصائد التقليدية التي كان لها دورها في حياة الأجداد في الماضي، منها المشرعة والمفقاس والضاروب والمرجامه (المقلاع) والفخاخ والشّركِه والمجلاد والطبق والتبييت والنباطَه (النبله). وكلها تستخدم لصيد

الطيور، الصغيرة الحجم منها أو الكبيرة. وقد اندثرت معظمها ولم يعد لها وجود.

**الضاروب**. ورد ذكر الضاروب في الشعر الشعبي في قول ابن جعيثن يصف الدنيا:

أشوف ما أحد من غثاها سالم
كل بوجهه مفقع ضاروبها

ويتركب الضاروب من عدة أجزاء تشمل عصوين من خشب الأثل القوي، أولاهما بطول المتر تقريباً، والثانية أقصر منها بحوالي ٢٠سم مذببة الطرف تسمى المزوار، وهناك الطبله، وقطعة مناسبة من القماش لتغطية الطبلة، وفخ كبير يعد من عسيب النخل أو من عذوقها بحيث يأخذ شكل نصف دائرة، وحبل من المطاط بطول يتناسب مع حجم الفخ، ويسمى خنزيرا، وخرزة كبيرة اسطوانية الشكل تؤخذ من عظم ساق الضأن أو الماعز، ثم حبل من قماش مبروم بطول يتناسب مع حجم الضاروب، ويسمى مقطيه. وتتوقف جودة أداء الضاروب على هذا الحبل، لأنه هو الذي يمسك بالطائر ويعوق حركته، ولذلك يجرى اختياره بعناية شديدة.

وجاء في كتاب تراث الأجداد أنه يستخدم الضاروب لصيد الطيور كبيرة الحجم كالكروان، الذي يصاد ليلا، والحمام الذي يصاد نهاراً، وذلك بأن يقوم الصياد بدفن الضاروب إلى أن يواريه التراب تماماً، ثم يثبت على جانبيه عودين طول كل منها نحو عشرة سنتيمترات، في رأس كل منهما دودة صفراء تسمى السرو، وهي الطعم الذي يغري الطائر بالاقتراب من الضاروب. ويقوم الصياد بسد جميع الطرق المؤدية إلى الضاروب ببعض العيدان والحجارة، بطريقة تسمى خزاز بحيث لا يترك سوى طريق واحد، يتعين على الطائر أن يسلكه لكي يصل إلى الضاروب، حتى يضمن صيده. فإذا أقبل الطائر محاولاً تناول الطعم أطبق عليه الضاروب، بحيث يزيد عليه الخناق كلما حاول منه الفكاك. ويأتي الصياد ليخلص صيده وينعم به، ويعد ضاروبه لصيد آخر سمين (القويعي ١٩٨٢، ج٢: ٢٩١-٢٩٢).

**المرجامه (المقلاع)**. تنسج من الصوف الملون، بحيث يكون لها قاعدة بيضية الشكل، طولها نحو ثمانية عشر سنتيمتراً، وعرضها نحو سبع سنتيمترات، وهي معدة لوضع الحجر الذي سيلقى به، ويربط بها ذراعان من القماش المفتول بطول نحو ستين سنتيمتراً، يستخدمان للتصويب وإكساب الحجر قوة الدفع اللازمة. وهناك من

الصيادين من يجيد استخدامها بمهارة فائقة حتى قل أن يخطيء هدفه. وقد تستخدم المرجامه أو المقلاع لطرد العصافير وغيرها من الطيور عن الزرع والحب، حيث يختبئ مستخدمها في كوخ صغير، يجعل في وسط المزارع يسمى القصبه، ويقوم بطرد الطيور عن الزرع، بأن يجعل في المقلاع كومة من التراب الرطب على هيئة كرة، بحيث إذا قذف به الطير المتجمع على الزرع تناثر عليه، فأخافه وأبعده دون أن يضر بالزرع، وهذا من صائب ممارسات العوام.

وتسمى المرجامه أيضاً محذفه، والجمع محاذف لأن الصائد يحذفها بها. وقد ورد لفظ المقلاع في الشعر الشعبي في قول الشاعر سليم بن عبدالحي.

حسبه سطا بى سطوة بين الاضلاع
سوّى بقلبي مثل ضرب المقاليع

**الفخ**. وهناك الفخاخ التي يحبلها الصبية لصيد الطيور في الأماكن التي توجد فيها. والفخ قطعة من عسيب النخل أو عرجونه، تحنى على شكل نصف دائرة قطرها من سبعة إلى عشرة سنتيمترات، وقد تكون أكبر أو أصغر من ذلك. ويحبل الفخ ويوضع فيه طعم، ثم يحفر له في الأرض قليلاً ويدفن، ويغطى بتراب ناعم خفيف، ويوضع خلفه أعواد صغيرة تمنع الصيد من إتيانه من الخلف. ومتى جاءت الصيدة من الأمام، ونقرت الطعم قفز الفخ بها وصادها. وللصيادين طرق فنية في حبل الفخ بحيث يجعلونه يطبق على الصيدة إما على الرقبة، أو مع وسط الجسم، أو مع الأرجل، أو الأجنحة.

وتأتي فخاخ صيد الطيور، التي تتخذ من عسب النخل وعذوقه، على ثلاثة أحجام: كبير يتراوح قطره بين عشرين وخمسة وعشرين سنتيمتراً، ويصاد به الحمام والقطا والكروان والحجل وما في حجمها، ومتوسط الحجم يتراوح قطره بين سبعة سنتيمترات وخمسة عشر سنتيمتراً، ويتخذ لصيد القنابر (العقلاء) وما في مستواها، وصغير يكون قطره ما بين خمسة وسبعة سنتيمترات، لصيد العصافير والصعو وما في مستواها. وقد تصنع الفخاخ متوسطة الحجم وصغيرته من قرن الماعز على قدر طول القرن، وتسمى القَحَّه أو الحقَّه وتستخدم بالطريقة نفسها التي تستخدم بها فخاخ عسيب النخل.

ويوضع الطعم في الفخ بحيث يناسب الطير المراد صيده، فإن كان الطائر من آكلات الحب، كالحمام والقطا والقنابر والكروان والحجل، يوضع له الطعم،

وهو عبارة عن نظيم من الحب ينقع في الماء ثم ينظم في سلك رفيع، أو سنبلة صغيرة من سنابل القمح الصلب (اللقيمي)، وإن كان الطائر من آكلات الحشرات والديدان يكون الطعم من دود أصفر طويل يسمى القصله (دودة الرمل)، يجده الصيادون في الرمل الناعم. ويكثر تحت الحرمل.

ويقوم الصبية، بعد نصب فخاخهم، باستدراج الطيور إليها عن طريق الحداء لها، فيرددون أحديتهم التي منها «ياعبوه ياعبوه والطعم تناهبوه، يازغيبران أبا البرّان، يادقاق الريش العنكريش وغيرها من الأحديات التي يعتقدون أنها تجعل الطيور تنساق وئيداً إلى الفخاخ، فتقع بها وينعم الصغار بصيدهم منها.

**المفقاس**. نوع من الفخاخ يتخذ من الطرف الدقيق الطري من جريدة النخلة. يربط في أعلاه خيط يمتد حتى ينفذ بتان منه في ثقب أسفل الجريدة، ويعقد الخيط عقدتين إحداهما قبل الثقب والأخرى في طرفه بعد الثقب وينفذ في كل عقدة عويد يمنع الخيط أن يتجاوز مداه. وينصب الفخ بأن يغرس الجزء المتين منه على جدول الماء إلى قريب من الثقب. ويشد الخيط بقوة حتى تتقوس الجريدة ثم يسد الثقب، لمنع انفلات الخيط، بعود كالغصن الصغير. ويفرد بتا الخيط على جانبي العود، فإذا وَقَع العصفور على العود ليشرب من الماء سقط العود ليتحرر الخيط فتجذبه الجريدة بقوة ثم يطبق بتا الخيط على رجلي العصفور.

**الشركه**. جمعها الشرك أو الشِراك، حبالة تكوَن على حجمين: كبير لصيد الحمام والقطا والحجل والقمري والسمانى، وصغير لصيد القنابر والعصافير والصعو. وتتكون الشّرِكه من حبل قوي قطره من عشرة ملليمترات إلى اثنى عشر ملليمترا بطول قد يصل إلى المتر، يثقل إلى الأرض، بربط أحد طرفيه بحجر في حجم قبضة اليد، ويربط عليه عيون بين كل عينين منها مسافة عشرة سنتيمترات تقريباً، بحيث يتناسب قطرها مع حجم الطير المرغوب صيده. وكانت هذه العيون تتخذ في السابق من شعر ذيل الحصان الأشهب (السبيب)، أو من شعر ذيل البعير (الهلب)، بحيث تدمج شعرتان أو ثلاث شعرات معاً وتصنع على هيئة حلقة، أو عين تفتح وتغلق، وتثبت على الحبل المشار إليه آنفاً. أما في الوقت الحاضر فتجعل العيون من خيوط النايلون وغيره من الألياف الصناعية القوية، ويكون بالشّرِكه الواحدة ما بين ست وعشر عيون.

وتنصب الشّرِكه بأن يجعل الحبل على شكل دائرة تعلوها العيون أو الحلقات، ويدفن جسم الحبل في الأرض، وتبقى العيون خارجها، وتفتح العيون وتصف على هيئة دائرة، يحدد اتساعها طول الحبل المدفون، ويقارب ما بينها وتثبت بأعواد رفيعة عند الحاجة. ويوضع الطعم في مركز الدائرة. وتكون العيون بحيث لا يستطيع الطير أن يصل إلى الطعم إلا إذا مر من خلال عين منها، ولا يمكنه أن يمر فوقها. ويساوى التراب داخل الدائرة، ويزال أثر الأصابع، وينثر الحب أو الديدان داخلها، ويكمن الصياد غير بعيد عنها بحيث لا تلحظه الطيور.

فإذا جاء الصيد وأدخل رأسه، يريد أن يمر من العين لالتقاط الطعم انغلقت وأطبقت عليه، وتزداد انغلاقاً كلما حاول الخروج منها، حتى إنها لتمسك برقبتها وتضيق عليها تكاد تخنقها، إذا لم يسارع الصياد إليها ويفكها منها أو يذكيها، ويعيد نصب شركته من جديد لينال صيداً أكثر.

كما تنصب الشراك للقطا والحجل على الماء بحيث يدفن الحبل على طرف الماء وتبقى العيون ظاهرة، فإذا ورد الحجل أو القمري إلى الماء وقع في الشّرِكه. كما توضع الشراك على مداحي القطا حيث بيضه وفراخه أو في أعشاش الحبارى، والكراوين على بيضها فيمسك بها. أما السمان فشباكه أكبر يصل طولها إلى الخمسين متراً وعرضها إلى المترين وتوضع في طرف الزرع كالبرسيم أو القمح أو الشعير من حيث تكون الشمس، ففي الصباح الباكر تكون في شرقه وفي المساء تكون في غربه وتنصب مرتفعة. ويقوم الصيادون بالمشي في الزرع في اتجاه الشباك محدثين أصواتاً سواء بأفواههم أو بقرع الطبل أو بأي شيء آخر يحدث صوتاً فيسوقون السمان أمامهم فإذا وصل إلى نهاية الزرع اضطر للطيران حيث لا شيء يخفيه فيصطدم بالشباك التي لا يراها لأن طيرانه يكون مواجهاً للشمس وتكون الشباك قريبة منه فتمسك به.

**المجلاد.** عصا يتراوح طولها من متر إلى متر ونصف المتر، وسمكها من سنتيمترين ونصف السنتيمتر إلى ثلاثة سنتيمترات. يثبت طرفها جيداً بوتد في الأرض، ويخفى ذلك الوتد تماماً، ثم يدق وتد آخر على مسافة نصف طول العصا تقريباً من الوتد الأول، حتى إذا أمسك طرف العصا الثاني بهذا الوتد فإنها تنحني وتأخذ شكلاً نصف دائري موازيا لسطح الأرض. ويكون طرف الوتد الثاني

محنيا بدرجة قليلة، حتى يمسك بطرف العصا (المجلاد) مسكاً خفيفاً يُسَهِّل انفكاكها منه بحركة خفيفة، ويربط طرف المجلاد هذا بخيط قوي رفيع طويل. ويُغَطى المجلاد والوتدان والخيط بطبقة من التراب الناعم الخفيف، أو من التبن ودقاق القش بحيث يخفيه ويموهه فلا تراه الطيور. ويمسك الصياد بطرف خيط المجلاد يراقب تجمعها حول المجلاد. ومتى تجمعت الطيور لالتقاط الطعم، جذب المجلاد بهدوء ثم أفلته فجأة ليضرب الطيور التي تقف في نطاق حركته، فيصيب منها ما يصيب في أي موضع من جسمها يعوق حركتها، فيسرع الصياد إليها ويجمعها ويذكيها، وينصب المجلاد مرة أخرى بحثاً عن صيد جديد. وقد يصيد المجلاد في المرة الواحدة طيراً واحداً، وقد يصيد طيوراً كثيرة، حسب كثافة أعداد الطيور التي تكون في نطاق مرماه.

**النباطه.** تصاد بها العصافير والصعو والدخّل وما شاكلها من الصيور الصغيرة. وهي غصن شجرة رفيع متفرع على شكل الرقم ٧، ويؤخذ من شجر مرن مثل السدر أو الأثل، ويكون طول كل من فرعيه نحو ١٥سم. ويربط في كل طرف من طرفي الفرعين سير مطاطي مرن بطول حوالي ٢٠ سم وعرض سنتيمتر واحد. وتجمع نهايتي الشريطين المطاطين في قطعة مستطيلة من الجلد، طولها نحو ٧سم وعرضها ٤سم تقريباً. وتجمع حجارة ذات حجم مناسب مثل حجم البندقة، ويوضع الحجر في القطعة الجلدية بين الشريطين المطاطين ويمسك باليد ويجذب إلى الخلف ليكتسب قوة عند الرمي ثم يترك فجأة لينطلق بقوة نحو الهدف الذي صوب عليه بدقة. وهناك من الناس من يجيد استخدام النباطه والتسديد بها بدقة شديدة حتى إنهم يمكنهم بها صيد الأرنب إذا نفجت من مكان قريب من الرامي أثناء النهار أو أثناء الليل على ضوء مصابيح السيارات حيث لا تبتعد الأرنب كثيراً ولا تكون سريعة في ركضها فيمكنه إصابتها وأخذها. هذا بالإضافة إلى استخدامها في صيد الطيور التي في حجم الحمام والقنابر.

وقد تعوَّد الصغار بعد أن يبلغوا شيئاً من الصيد أن يمسحوا الفخ أو النباطه التي استخدموها في الصيد ببعض دمه، لتنال نصيبها منه، وتستمر معهم في الصيد الناجح، ولا تخيب رجاءهم في المرات التالية.

**الطبق.** وتصاد العصافير بالطبق. وهو الطبق المعروف الذي يستخدم لتنقية الحبوب من الشوائب. وهو مضفور من

الخوص وعراجين النخل على هيئة طبق ثقيل يكون قطره من ٤٠ إلى ٦٠سم ويحيط به إطار يرتفع حوالي ٥سم. ينصب الطبق منكفئاً، ويجعل مائلاً برفعه على عود خشبي رهيف، بحيث يكون الطبق مستنداً على الأرض عند حافته، ومرفوعاً على العود عند الحافة المقابلة لها. ويربط العود بخيط رفيع قوي يكفي لجذبه وإسقاطه. وينثر الصياد الحب تحت الطبق والقليل منه خارجه لتراه العصافير فتقبل إليه. ويكمن الصياد بعيداً بحيث لا تلحظه الطيور وهو ممسك بطرف الخيط الرفيع. ومتى أتت العصافير لالتقاط الحب، وكثر عددها تحت الطبق، جذب الصياد الخيط، فيطبق الطبق على ما تحته من العصافير، ويأتي الصائد ليمسكها من تحت الطبق عصفوراً عصفوراً ثم ينصب طبقه من جديد، ويعيد الكرة لإمساك عدد آخر من العصافير. ويمكن بهذه الطريقة أن يمسك بعشرات العصافير كل يوم.

**البندقية.** بعد أن ظهرت البنادق أصبح صيد الطيور -وغيرها من أنواع الحيوان- أيسر كثيراً. ولا يستعمل لصيد الطيور الذخيرة ذات القصديير الكبير، وإنما تستخدم بنادق الفتيل، التي تعبأ بملح البارود مع حصيات بقدر حب الحمص تسمى الرشم، بحيث متى أصابت الطير تعيق طيرانه ولا تمزق لحمه. ثم جاءت بعدها بندقية القبسون التي تختلف عنها فقط في جهاز الإطلاق دون نوع الذخيرة المستخدمة. وأخيراً جاء بعدها بنادق الشوزل أو الشوزن ذات الذخيرة الجاهزة المعبأة بكريات من الرصاص قلما تخطئ الطيور المصوب عليها، وقد تصيد ما هو أكبر منها من أنواع الصيد الأخرى كالأرانب والظباء.

**وسائل أخرى.** وهناك طريقة لصيد العصافير التي تبيت في غرفة من الغرف المهجورة ذات السقف المرتفع، وتعشش بأعداد كبيرة في خبايا السقف وشقوقه، حيث يجري صيدها ليلاً بعد أن تدخل الغرفة لتبيت، فتسدد جميع المنافذ التي يمكن أن تخرج منها، ثم توقد نار كبيرة في وسطها تكفي لإضاءتها، وتثار العصافير من مكانها وأعشاشها بوساطة عصا طويلة، حتى إذا خرجت بهرها ضوء النار، وسقطت على الأرض ذاهلة فيمسك بها.

## الجراد

جاء في كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات أن الجراد صنفان، أحدهما يطير في الهواء، ويقال له

جرادتان متقابلتان تبيضان في أرض رخوة

الفارس، والآخر ينزو نزوانا، ويقال له الراجل، فإذا رعت أيام الربيع طلبت أرضاً طيبة التربة رخوة ونزلت هناك وحفرت بأذنابها حفراً وباضت فيها كل واحدة مائة بيضة إلا بيضة وطارت. وآفتها الطيور والبرد. ثم إذا أتت أيام الربيع واعتدل الزمان يفقس ذلك البيض المدفون ويظهر مثل الذباب الصغار على وجه الأرض، وأكلت زرعها حتى قويت، ثم تنهض إلى أرض أخرى وباضت، كما فعلت في عامها الأول، وهكذا دأبها.

قال صاحب الفلاحة: إذا رأيت الجرادة مقبلة نحو القرية فليتوار أهلها عنها، بحيث لا يظهر أحد منهم، فإذا لم تر الناس جاوزت القرية ولم يقع بها شيء منها، وإذا أحرقت شيئاً منها فإن البقية تعدل عن القرية إذا شمت قيادها، أو تسقط وتموت.

ويضيف القزويني قائلاً: والجراد الطوال تشد على رقبة صاحب الحمى الربع تزول حماه، ويدخن بها صاحب البواسير ينفعه، وكذلك صاحب عسر البول، ورماده ينفع من الناصور، قال ابن سينا: أرجلها تقلع الثآليل فيما يقال.

وعن خواص الجراد يقول الدميري: إذا تبخر الإنسان بالجراد البري نفعه من عسر البول. وقال ابن سينا: إذا أُخذ منه

اثنتا عشرة جرادة ونزعت رؤوسها وأطرافها وجعل معها قليل من الآس اليابس وشربه صاحب الاستسقاء نفعه. والجراد الطويل العنق، إذا علقت على من به حمى الربع نفعه، وإذا طلي ببيضه وجوفه الكلف أبرأه.

أما عن رؤية الجراد في المنام فيقول الدميري: الجراد في الرؤيا جند الله لأنه من آيات موسى عليه الصلاة والسلام وهو عذاب. والدبا منه ناس سيئة أخلاقهم، قبيحة سيرتهم. وإذا وقع في موضع يؤخذ ويؤجل فإنه خير ونعمة. وإذا رأى أنه جعله في جرة أو قدر، فإنه ينال دراهم ودنانير. وروى أن رجلاً جاء إلى ابن سيرين رحمه الله، فقال: رأيت كأني أخذت جراداً فجعلته في جرة. فقال ابن سيرين: دراهم توصلها إلى امرأة، فكان كذلك. ومن رأى أنه يُمطر عليه جراد من ذهب عوضه الله ما ذهب منه، لقصة أيوب عليه السلام.

ويذكر الجاحظ أن الجراد الأعرابي لا يتقدمه شيء في طيب الأكل. ويقول: وما أحصي كم سمعت من الأعراب من يقول: ما شبعت منه قط، وما أدعه إلا خوفاً من عاقبته، أو لأني أعيا فأتركه. ويضيف الجاحظ قائلاً: والجراد يطيب أكله حاراً وبارداً ومشوياً ومطبوخاً، ومنظوماً بخيط ومجعولاً في الملة، أي الرماد الحار والجمر. والبيض الذي يتقدم في الطيب ثلاثة أجناس: بيض الأسبور وبيض الدجاج وبيض الجراد. وجاء في الأثر أن الجراد ذكر عند عمر # فقال «ليت لنا منه قفعة أو قفعتين» والقفعة وعاء كالقفة واسع الأسفل ضيق الأعلى. وهو يؤكل يابساً وغير يابس، ويجعل أدماً ونقلاً (١٩٨٨، ج٥: ٥٦٥-٥٦٦) والأدم: ما يؤكل بالخبز، والنقل: ما يعبث به الشارب على شرابه ويتنقل به، وكذلك قوائم الجراد تؤكل، وهي ست: يدان، ورجلان، والمنشاران، وبهما تعتمد إذا نزت أي قفزت.

وتفوق الجراد بأعدادها الكثيفة تجمع أي نوع من الحشرات المماثلة لها في الحجم، عجيبة بقيادتها الموحدة التي تتحكم في تحركات تلك الأعداد الهائلة التي تتحرك مثل قطع السحاب. ويبلغ طول السرب الواحد من الجراد في بعض الأحيان، عشرات بل مئات الكيلومترات، بعرض يصل إلى خمسة كيلومترات. ويضرب بكثرته المثل قالوا «جراد ياكل حيه نيه» أو «جراد ياكل حيه ميته» أي البقاء للأصلح ويضرب المثل للكثرة. وقالوا في المثل «جراده والا من جراد»، ويعني هل أنت لوحدك أم معك أحد غيرك.

وتتحرك أسراب الجراد طائرة في الهواء على مسافات متفاوتة في الارتفاع والانخفاض. وأحياناً يدنو السرب من الأرض حتى يكاد يلامسها، وأحياناً أخرى يرتفع إلى مئات الأمتار بحيث يحجب رؤية الشمس. قال الشاعر أبو تمام:

كأن الشمس جللها كسوف

أو استترت برِجْل من جراد

ويتحرك الجراد بهذه الأعداد الهائلة بقيادة جرادة واحدة. فإذا حان طيرانه نهض من الأرض مرة واحدة محدثا دوياً مسموعاً. وإذا حط ونزل على الأرض غطاها بما عليها من أشجار ونبات، وأحياناً تكون سماكته على الأرض حوالي ١٠سم. وكل أرض ينزل عليها يجردها من غطائها النباتي، ولذلك سُمّى جراداً. ولا يقل أولاد الجراد (الدبا) عن أمهاتها في المضرة. وكم سبَّب من الكوارث والمجاعات، وإن كان يستفاد منه للصيد والأكل وقت الحاجة، لكن فائدته لا تساوي شيئاً بالنسبة لمضرته. والجراد، منذ قديم الزمان، معروف بإتلافه للمحاصيل الزراعية.

واسم الجرادة العلمي هو الجراد المهاجر أو الأعرابي. ويكون لونه في الغالب بنياً، ويبلغ طول الجرادة حوالي ٥سم، ورأسها كبير بالنسبة لحجمها، وعيونها كبيرة أيضاً. ويوجد على الرأس، إضافة للعيون، قرنا

أسراب الجراد تطير بحثاً عن قوتها

جاء في المثل «فلان مثل الجرادة ما ياقع إلا على خضرة»

استشعار قصيران فوق العيون. ورجلا الجرادة الخلفيتان طويلتان، متأقلمتان للقفز. ويغطي ظهر الجرادة أربعة أجنحة، تنطوي بعضها فوق بعض على المنطقة الخلفية عندما لا تكون في حالة طيران. والجناحان الأماميان جلديان، بينما الجناحان الخلفيان غشائيان شفافان. ويمكن لعديد من أنواع الجراد إصدار صوت عن طريق حكِّ أرجلها الخلفية الصلبة بأجنحتها الأمامية، وينتج عن هذا الاحتكاك ذبذبة للأجنحة هي مصدر الصوت.

ويسمي أهل الجزيرة رِجْلَى الجرادة الطويلتين اللتين تنقز عليهما القصاميل، واحدها قصمول. يقال قصملتُ الجرادة أي قطعت أرجلها وريشها (أجنحتها) وقصاميلها قبل أكلها.

والجراد واسع الانتشار إذ هو في جميع القارات تقريباً. وينتقل مسبباً أضراراً هائلة للمحاصيل المنزرعة والنباتات المختلفة. ولا يوجد الجراد في المناطق شديدة البرودة. ويهاجر الجراد في أسراب كثيفة هائلة العدد تنزل على الحقول الخضر وتغطيها ولا تلبث أن تأتي عليها. وهي تأكل الأوراق الخضر والبراعم والأغصان الغضة. ولذلك قالوا في المثل «جراده؛ مضمون لها الحيا»، أي أنها تطير باحثة عن الأعشاب والأشجار الخضراء. وتضع إناث الجراد بيوضها في التربة داخل غلاف

نركض ومن صاد الجرادة شواها
وللنار من عقّب من المال دينار

خارجي يحتوي على حوالي خمسة وعشرين بيضة. وقد يغطي سرب واحد من الجراد، يقطع البحر الأحمر، مساحة تقدر بحوالي ٥٢٠٠ كيلومتر مربع. وقد تكون أسراب الجراد المهاجرة من الكبر بمكان، بحيث أنها في بعض الأحيان تحجب ضوء الشمس. وللجراد أهمية كبيرة في جزيرة العرب منذ العصور القديمة، وحتى وقتنا الحاضر، فإضافة لما يسببه من أضرار فادحة في المحاصيل الزراعية، فإنه كان يستخدم فيها حتى وقت قريب غذاءً. لذا فإن الجراد ورد ذكره في التراث العربي القديم والحديث.

كما ورد ذكر الجراد في القرآن الكريم. يقول الله سبحانه وتعالى ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آياتٍ مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾ (الأعراف: ١٣٣). وقال تعالى ﴿خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشِر﴾ (القمر: ٧).

وقد أعطت العرب لكل مرحلة من مراحل نمو الجرادة اسماً يناسبها ويدل على صفاتها. يقال: قد سرأت الجرادة تسرأ سرءا، إذا وضعت بيضها، وتقول لها البادية غرزت، كما تقول جراد مغرز أي غرز رءوس أذنابه في الأرض لوضع البيض. فإذا خرج من بيضه فهو دباً والواحدة دباة، ويخرج أصهب إلى البياض. فإذا اصفر وتلونت فيه خطوط واسْوَدَّ فهو يرقان. يقال رأيت دباً يرقاناً والواحدة يرقانة. فإذا بدت فيه خطوط سود وبيض وصفر فهو المسيح. فإذا بدا حجم جناحه فذلك الكتفان، لأنه حينئذ يكتف المشي، أي يحرك كتفيه في المشي. فإذا ظهرت أجنحته وصار أحمر إلى الغبرة فهو الغوغاء، والواحدة غوغاءة، وذلك حين يستقل ويموج بعضه في بعضه، ولا يتوجه جهةً. ولذلك قيل لرعاع الناس غوغاء. فإذا بدت في لونه الحمرة والصفرة وبقي بعض الحمرة واختلف في ألوانه، فهو الخيفان، والواحدة خيفانة. ومن ثم

قيل للفرس خيفانة وذلك لخفتها، ويضرب بها المثل الشعبي «كنه خيفانه». فإذا اصفرت الذكورة واسودت الإناث ذهبت عنه أسماء غير الجراد. فإذا باض قيل: قد غرز الجراد، وقد رزَّ، أي أثبت ذنبه في الأرض ليبيض. فإذا كثر الجراد في السماء وكثف، فذلك السُّد. ويقال: رأيت سدّاً من جراد، ورأيت رِجْلاً من جراد، للكثير منه (الجاحظ ١٩٨٨، ج٥: ٥٥١-٥٥٢). وفي الحقيقة أن رِجْل الجراد هي طائفة كبيرة من الجراد تنفصل عن المجموعة الأصلية وتطير في اتجاه مخالف لها. ويطلق لفظ جرادة على الذكر والأنثى منه، يقال هذه جرادة ذكر، وهذه جرادة أنثى. وتكنى الجرادة أم عوف قال أبو عطاء السندي:

وما صفراء تكنى أم عوف
كأن رُجَيْلتيها منجلان

وذلك لأن المنطقة السفلى من رجليها الخلفيتين مسننة كالمنشار فوصفهما بأنهما يشبهان المنجل الذي تحصد به الزروع. قيل لأعرابي: ألك زرع؟ قال: نعم، ولكن أتانا رِجْل من جراد، بمثل مناجل الحصاد، فسبحان من يهلك القوي الأكول بالضعيف المأكول. وكان أعرابي قد زرع برا له، فلما استوى على سوقه وجاد سنبله، أتاه رِجْل من جراد فعاث فيه الفساد، والرجل ينظر إليه لا يدري ماذا يحتال له فأنشد يقول:

مر الجراد على زرعي فقلت له
لا تأكلنَّ ولا تشغل بإفسادِ
فقام منهم خطيب فوق سنبلةٍ
إنا على سفر لا بُدَّ من زادِ

والجراد منه الإناث ويسمى المكن (مفرده مِكنه، وتسمى أيضا النص أو الرز أو الدَّمون)، ومنه الذكور ويسمى الزعيري وهو خفيف الوزن، حتى ضرب به المثل الشعبي «الزعيري يطلع من القفّه»، والزعيري ذكور الجراد ولونه أصفر وهو خفيف سريع الحركة، والقفّه ما يجمع بها الجراد في بعض المناطق. والمكن عند أهل الجزيرة أنثى الجرادة المليئة بالبيض، يقولون «جرادة مكون» عن أنثى الجراد و«ضبة مكون» عن أنثى الضب، أي مملوءة بالبيض. ويسمون مكون الجرادة أيضاً المضضة كما يطلق على بيض الجراد مسمى النص وتسميه البادية الرز. يقولون: «جرادة منصنصه» أي مكون، و«جراد منصنص» أي مكن. ويقولون أيضاً «نتش الجراد الأرض» أي أكل زرعها.

ويطلق أهل الجزيرة على الجزء السفلي من عمود الجراد الرحى، حيث أن الجراد يشكل أثناء طيرانه، قبل التبييض، عموداً يشبه الإعصار، يطير

بحركة دائرية. فالخفيف الوزن منه وهو الزعيري (الذكور صفر اللون)، يكون في أعلى العمود، بينما تكون المكن (الإناث الثقيلة المليئة بالبيض)، في أسفل العمود. قالوا في المثل الشعبي «الزعيري يركب المكن»، أي الذكور تركب الإناث ويعني الأمر الطبيعي. والجراد الكثيف هو التهاميه. وإذا انفردت مجموعة من الجراد قيل لها رجل جراد.

وأول ما تقدم أسراب الجراد الكثيفة المهاجرة في فصل الشتاء غالباً. وعندما تفد تكون هزيلة حمراء اللون وتسمى البحاري وهو ما يقدم من السودان عبر البحر الأحمر. وبعد أن ترعى وتتغذى تسمن ويتغير لونها لتكتسب الذكور اللون الأصفر الفاتح، بينما يصبح لون الإناث وسطاً بين الأصفر والرمادي، وتكتظ بطونها بالبيض، أي تكون منصنصة أو مكون. وعندما يكتمل نضج البيض تغرز أذنابها في التربة بباطن الأرض على عمق يتراوح من ٣ إلى ٧سم. وتضع بيضها ملفوفاً في أكياس لزجة تجف فوق البيض وتحميه من المؤثرات الخارجية غير الملائمة. ويفقس البيض عادة خلال ثلاثة أسابيع، إلا أنه قد يستغرق مدة أطول من ذلك. وعند فقس البيض تخرج منه الحوريات وهي الدبا، بأعداد كثيفة تغطي سطح الأرض التي تسير عليها. قالوا في المثل الشعبي «أكثر من عيال الجراد». وتسمى الرهالي وتلتهم الأخضر واليابس وتترك الأرض جرداء. قالوا في المثل الشعبي «الجراده مضمون لها كبر راسها من الحصاة»، أي أن الجراد يأكل كل شيء ربما حتى الصخر. ولكنها مأكولة أيضاً يأكلها الضب حتى ضرب بذلك المثل قالوا «الضب شبعان دبا»، والدبا أولاد الجراد، ويعني اكتفاء الإنسان بما عنده، وقالوا «ضب جراد»، ويعني شدة الشبع بما لا مزيد عليه.

**صيده.** أهمية صيد الجراد في كثرته أما الجرادة الواحدة فهي تافهة فليست بصيد، قالوا في المثل «صيدة أم حبين: جراده»، وأم حبين نوع من السحالي، ويعني الأمر تفاهة الصائد والمصيد. يقول السويداء: تفد أسراب الجراد بأعداد هائلة كثيفة كقطع الغيم تحجب رؤية الشمس. وتطير هذه الأسراب مكونة كتلة واحدة كأنها الإعصار الهائج. يرتفع عمود الجراد إلى عنان السماء، ويسمى عموداً، والقاعدة تطير بحركة دائرية ملامسة للأرض تسمى رحى الجراد. وعادة تكون رحى الجراد من الإناث نظراً لثقلها بالبيض، والعمود الأعلى من الذكور، ونظرا لكثرته فإنه من العجز أن لا يصيد الإنسان كفايته منه؛ قالوا في المثل الشعبي «ما يشبع روحه من عمود الجراد»، يضرب للإنسان السلبي

الكسـول. وعندما تـفد أسراب الجراد، وتبيت بقرب البلد، أو يعلمون عنها، حتى ولو كان المكان بـعيداً، جاء إلى البلد أو النزل من يخبر به صائحا بأعلى صوته «يا جَرَّاد، الجراد بالمكان الفلاني». عند ذلك يسرع الناس إلى تجهـيز أوعيتهم من رزم وفراد وخياش ومقانب وركبوا إبلهم ودوابه وأسرعوا من ساعتهم إلى المكان المذكور. فإذا كان الوقت بارداً والهواء ساكناً أدرك الناس من الجراد ما يحتاجونه، وإن كـان الطقس بارداً بعض البرودة، أو يوجد فيه رياح، لا يسـتطيع الناس تحـصيل القدر المطلوب منه، لأن الجراد يبرد مع سكون الهواء، ويدفأ مع وجوده. وقد أخذوا من هذا النشاط مثلهم فقد يتعرض الجرّاد للأذى والخسارة يصور هـذا مثلهم، قالوا «راح يجرد وجْرِد»، وجرد: أخذ، أي أنه ذهب لطلب الفائدة وخسر.

وعادة يبدأ الجرَّاد بملء المقنب وهو كيس صغير يملؤه ثم يفرغه فـي الوعاء الكبير، مرة بعد أخرى حتى يمتلئ. ويصطاد الجَرَّاد الجراد من الشجر بقبضات كبيرة فـي كلتا يديه نظراً لكثافته على الـشجر. قالوا في المثل «جـراد مترادف»، أي جراد متراكـم ويضرب المثل للكثرة. وإذا كان هناك اثنان يساعد أحدهما الآخر، يتولى أحدهما فتح الوعاء والآخر يحشوه. فإن كـان الطقس بارداً يبقى الجراد لا يستطيع حراكاً ويجري قشه وتعبئته. والرجل الذي يعثر على الجراد يبقى معـه حتى يخيم عليه اللـيل ويبيت الجرَّاد ليطمئن إلى بقائه في نفس المكان، فإن احتاج إلى نار كانت ضئيلة. قالوا في المثل الشعبي «ضو جراده» والجرادة الذين يصيدون الجراد وتكون ناره حسب مقتضى الحاجة، فأحياناً يغير الجراد مكانه فـينتقل يميناً أو شمالاً بمقدار يتراوح بين ١ و٥كم من مكانه الأول. وحينـما يأتي الناس لا يجدونه في مكانه، وأحياناً يتهمون المبيت للجراد بعدم الثقة.

وربما انخدع بعض الناس بكثرة الجراد حينما يكون منتشراً وقت الأصيل ويخبر الناس على هذا الأساس، ولكنه عندما يخيم الليل يدخل بالشجر ويختفي عن الناس، وهنا يأتي الاتهام مرة ثانية للرجل الذي بيته بأن الجراد خدعه. وهناك مثل يقول «جراد الزريقي». هذا الرجل ممن انخدع بكثرة الجراد عندما كان منتشراً، وعندما أخبر الناس حضروا ولم يجدوا ما أخبرهم به. وعندما لاموه على ذلك قال لهم: اتركوه حتى ينتشر في الغداة وعندها سوف ترون كثرته وتصدقوني. وبالطبع إذا انتشر مع شمس اليوم التالي طار عنهم. قالوا في المثل الشعبي «جرادة باليد ولا عـشر بالهوا» أي شيء قـليل

معك ولا كثير لا تملكه. والسرب القليل من الجراد يسمى كراعاً.

ومن الأهازيج التي تغنى عند صيد الجراد قولهم:

صـيـد الجـراد مـنـاقـزه

وإذا نـقـز فـانـقـز مـعـه

ومما قالـه هويشل بـن عبدالله بن هويشل:

ليـتني تـاليت لـلي روّحـوا للجـراد

واتبع المكـن في ممساه معهـم واصيد

ودّي المكن الأوهم في يوم براد

كان ابا اجرد مع حوري وعنق الفريد

وبعد تعبئة الأوعية والرزم تحضر للبيوت ليعد للأكل، وقد يشوى أو يسلق بالماء، وهو سريع النضج حتى ضرب به المثل الشعبي «شواي جراده» ويضرب المثل للأمر التافه. أما سلقه فبأن يكون هناك قدور كبيرة ضخمة منصوبة على النار توقد تحتها نيران مسعرة. وعندما يفور الماء والملح يجري كب الجراد الحي بالماء الفائر ليموت فيه، ويحيط بالقدر أهل البيت، وكل واحد منهم معه خشبة صغيرة يغمس بها الجراد في القدر، بينما اثنان منهما يمسكان بالوعاء، ويكبان ما فيه. وبعد أن ينضج الجراد بالماء والملح، ونضجه سريع لا يستغرق دقيقة أو دقيقتين، يخرج من القدر، وينشر بسطوح المنازل، وعلى بيوت الشعر. ومتى طبخت الكمية التي صيدت، يبقى أخر طبخة بالقدر مُرَبَّصة بالماء، تسمى الربيص أو النقوعه، وتبرد، ويؤكـل الجراد بعـد الطـبخ أو الشـوي. وللنقوعه طـعمها الخاص وبالذات عندما تبرد. وينزع من الجرادة أرجلها وقصاميلها، وهي الأرجل الطويلة وريشها أي أجنحتها، وأحياناً رأسها.

والجراد مفيد من الناحية الصحية لمن تعرف لديهم أمـراض باطنية، ربما لأنه يأكل من كل شجر يمر عليها، ومع ذلك تبقى خـلاصة هذه الأعشاب بأمعـائه، ويكون لها تأثير على من يأكله. ويقول المثل «إذا جا الجراد انثر الدوا» إشارة إلى الاستفادة من الجراد بهذه الناحية. وبعد أن يجفف الجراد على سطوح المنازل أو على بيوت الشـعر، يتم تخزينه كمتـاع عند الحاجة. وينزع من إناث الجراد الجاف الملأى بالبيض المنصص (المكن) أرجلها وريشـها ورأسهـا، وتسمـى قنزوعـه، وتطبخ مع المرقوق أو المطازيز عوضاً عن اللحم، ويكون لها مذاق ممتاز.

وقد يؤرخ بعض الناس بالجراد كأن يقولوا «جـراد كذا...» ويضرب المثل بالجراد لكثرته، ويوصف الجيش الكثيف العدد بالجراد التهامي أو بالدبا الرهالي.

**ذكره في مـأثور القول والأدب.** ورد ذكر الجراد كثيراً في التراث العربي. ونظراً

لأن الجراد يأتي على هيئة أسراب عظيمة ترى كالسحاب تكاد تسد الأفق وتحجب الشمس فقد شبه الشعراء الجيش العرمرم بالجراد. قال الفرزدق.

وإذا دعوت بني فُقَيْم جاءني
مِجرٌّ له العدد الذي لا يعدل
وإذا الربائع جاءني دفَّاعها
موجاً كأنهم الجراد المرسل

المجر: هو الجيش كثير العدد. كما أكثر الشعراء من تشبيه الخيول بالجراد لإثارتها الغبار أثناء عدوها. قال جرير:

والخيل ساطعة الغبار كأنه
أجم يحرق أو رعيل جراد

وقال الفرزدق:

ومغبوقة دون العيال كأنها
جراد إذا أجلى مع الفزع الفجر

وقال أيضاً يفخر بقومه:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا
وإن نحن أومأنا إلى الناس وقَّفوا
ألوف ألوف من دروع ومن قنا
وخيل كريعان الجراد وحرشف

وقال مشبهاً كثرة النبل بالجراد:

ومسروحة مثل الجراد يسوقها
ممرٌّ قواه والسراء المعطَّف

المسروحة: النبال، الممر: القوس المفتولة قواها، السراء: شجر تتخذ منه القسيّ. كما تعرض الشعراء في حديثهم عن الجراد للونين منها: الأسود والأصفر، فذو الرمة يذكر مفازة فيها جراد أسود يخرج أصواتاً تشبه أصوات الأوتار المشدودة، وقد باشر الرمضاء لا يحميه منها إلا أن يقفز من شدة اللسع، بينما الشمس تدور فوق رأسه ولا تغرب، قال:

دُوِيَّة ودجى ليْلٍ كأنهما
يمٌّ تراطن في حافاته الروم
يُضْحي بها الأرقط الجون القرا غرداً
كأنه زجل الأوتار مخطوم
معروريا رمض الرضراض يركضه
والشمس حيرى لها بالجو تدويم

أما الجراد الأصفر فيذكره إذ وقع في الماء وبصق فيه، فغير طعمه ليصير مراً، وغيّر لونه فاصفر، وصار آجنا قال:

وماء قديم العهد بالناس آجن
كأن الدبا ماء الغضا فيه يبصق

وشبه امرؤ القيس فرسه بخيفانة لسرعتها فقال:

وأركب في الروع خيفانة
كسا وجهها سعف منتشر

وقال أبو تمام:

وإذا القسي العوج طارت نبلها
سوم الجراد يشيح حين يطارد

وقال ذو الرمة في وصف ذفر:

كأن الدبا الكتفان يكسو بصاقه
علابي حرجوج طويل وريدها

وقال المعقر البارقي:

وقد جمعوا جمعاً كأن زهاءه
جراد هفا في هبوة متطاير

الهبوة: المنخفض من الأرض

وقد ورد ذكر الجراد في كثير من أمثال العرب منها قولهم: «أصرد من جرادة»، و «أكثر نزوا من جرادة رمضة»، والرمضة التي أصابها الرمضاء، والنزو: الوثب. وقالوا: «أطيب من جرادة»، و «جاء القوم كالجراد المنتشر» أي متفرقين. و «أجرد من الجراد». و «أغوى من غوغاء الجراد». وقالوا «كالجراد لا يبقي ولا يذر»، يضرب في اشتداد الأمر واستئصال القوم. وقالوا «أحمى من مجير الجراد»، و «تمرة خير من جرادة». وقالوا: «أسرى من جراد» أي أكثر بيضاً، وقالوا: «أطير من جرادة»، وقالوا: «جاء القوم كالجراد المنتشر» أي متفرقين من كل ناحية.

ومن الأمثال الشعبية التي تُضرب بالجراد قولهم: «فلان مثل الجرادة يأكل ويبعر»، أي أنه كثير الأكل ولا يسمن، وقولهم: «فلان مثل الجرادة ما ياقع إلا على خضرة»، وهو الذي يُرى دائماً في مكان يستفيد من وجوده فيه، وقولهم: «يرعاه رعي الجراد» أي لا يبقى منه شيئاً لأن الجراد إذا وقع على زرع أو عشب لم يبق منه شيئاً، وقولهم: «فلان مثل الجرادة عينها في جنبها» أي دائم النظر إلى الآخرين، وإلى ما في أيديهم.

وورد ذكر الجراد كثيرا في الشعر النبطي. قال خلف أبو زويد الشمري عن الجراد:

ياالله يا خالق رذيلات الاطيار
بلا قوت يامحيي عيال الجراده
هجوا بدارٍ وأمهم صوب له دار
باقاصي الدنيا بصيد مراده

هجوا: ذهبوا، صوب: جهة.

وقال آخر:

نجدٍ يسلى عن غثاها عذاها
لو هي مقر ابليس في ماضى الاذكار
نركض ومن صاد الجراده شواها
وللنار من عقّب من المال دينار

غثاها: نكدها، عذاها: عذوبتها وصفاءها، مقر ابليس: يشير إلى ما ورد في الأثر من أن إبليس جاء إلى المؤتمرين في دار الندوة على هيئة شيخ وقال: أنا الشيخ النجدي أشير عليكم بكذا وكذا، شواها: الشيّ أسرع إنجازاً من الطبخ ويعني أننا لا ننتظر طبخها فنحن على عجل من أمرنا، وللنار... إلخ يعني أننا لا نقيم للدنيا ولا للمال أي حساب فما قسم الله لنا من رزق انفقناه في حينه في وجوهه المشروعة في طرق المروءة والكرم ولم ندخر للوارث شيئاً من المال.